النُّقلةُ

مِن التكيّفِ إلى التوافقِ

أ.د. عقيل حسين عقيل

2021م

النُّقلةُ

مِن التكيّفِ إلى التوافقِ

تأليف

أ د. عقيل حسين عقيل

2021م

جدول المحتويات

المقدّمة .....

النُّقْلَةُ 5

النُّقلةُ بلوغ مكانة 7

صُنعُ المستقبل يُحدثُ النُقلة 14

بلوغ المستقبل نُقلة 24

صُنعُ الأمل نُقلة: 36

النُّقلة ارتقاءً: 47

النُّقلةُ نيل مأمول 67

النُّقلةُ تَصنع الخوارق 74

النُّقلةُ من السَّماء إلى الأرض 81

نُقلةُ الاستخلاف في الأرضِ 87

النُّقلةُ من بعد رَسُول الكافَّة: 97

النُّقلةُ خِلافًا من بعد الخلافةِ: 105

التكيُّف تقديم تنازلات 112

التكيّفُ مظلّة خلاف (سُفليَّة ونُقلة) 120

التّوافقُ نُقلة 124

التّوافقُ نُقلة الانسجام 125

النُّقلةُ بين تكيّفٍ وتوافقٍ 130

مِن التكيّف إلى التوافق (إصلاح وحلّ): 134

العدالةُ نُقلة التوافق 140

صدر للمؤلّف 150

المؤلّفات 151

المؤلّف في سطور 169

المقدّمةُ

مع أنَّ مفهوم النُّقلة فيه من الرِّفعةِ ما فيهِ، فإنَّه لا يعني ذات مفهوم الرّفعة، بل يعني: النُّقلة إليها، أي: النُّقلة من السُّفليَّة والدُّونيَّة إلى الرّفعة علوًّا، أو النُّقلة من الرّفيع إلى الأرفع منه فكرًا ومكانةً وعلمًا ونهضةً.

ومن هنا تعدّ النُّقلة من التكيُّفِ إلى التوافقِ نُقلة نفسيّة وأخلاقيَّة وإنسانيَّة، وهي لا تكون إلَّا عن وعيٍ ورغبةٍ وإرادةٍ، كما أنَّها لا تكون إلَّا عن دراية؛ بغاية بلوغ الأفضل والأجود والأنفع.

ومع أنَّ البعض يعتقد أنَّ التكيُّفَ موجبٌ فإنَّنا نقول: التكيف مع الأمر الواقع المتخلّف لا إيجابيَّة فيه، بل كلَّه سلبيَّة؛ ولذا فلن تتغيّر أحوال النَّاس الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة والعلميَّة والثقافيَّة والذوقيَّة ما لم يغيروا ما بأنفسهم من تكيُّفٍ مع السَّلبيَّات وقبول الأمر الواقع سُفليَّة ودونيَّة. وفي المقابل فإنَّ التكيُّف مع النُّقلة ومعطياتها العلميّة والأخلاقيّة والإنسانيَّة لا يعدّ إلَّا موجبًا، بل وعلى رأس الإيجابيَّات عبر التَّاريخ وفقًا لحلقاته تغييرًا من أجل بلوغ المستقبل المأمول قمّة.

ومع أنَّ النُّقلةَ من التكيُّفِ إلى التوافقِ ليست بماديَّة، فإنَّ أثرها رفعة لا بدَّ وأن يكون منعكسًا على الأسلوب والمنهج والسُّلوك البشري، وكذلك ينعكس رفعة علميَّة واقتصاديَّة وسياسيَّة على حياة النَّاس ومعيشهم وعلائقهم؛ وذلك من خلال حقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسئوليَّات يتم حملها، وتحمُّل ما يترتَّب عليها من أعباء.

وعليه: لا إمكانيَّة لمعرفة حدوث النُّقلة من عدمه إلَّا بمقارنة ذلك المستوى القيمي والاقتصادي والأمني الذي كان النَّاس عليه مع ما عليه النَّاس الآن من مستوى نهضوي علمًا وبناءً وإعمارًا.

ولأنَّ التكيُّف مملوء بالسَّلبيَّات فتغيير أحوال النَّاس المتكيّفين للضَّرورة أو المتكيّفين أمرًا واقعًا؛ خوفًا أو طمعًا؛ ينبغي أن يكون سُنَّة من سُنن الحياة رفعة، وهذا ما تم تناوله في مؤلّفنا: (النُّقلة من التكيُّف إلى التوافق)، الذي تناولنا فيه النُّقلة مفهومًا ودلالة، والفرق بين مفهوم التكيُّف للضَّرورة والتكيُّف وجوبًا، والفرق بين التكيُّف والتوافق، ومتى يكون بلوغ حياة التوافق نُقلة؟.

ولأنَّ جُلّ الحياة البشريَّة على مستوى التكيُّف لا تكون إلَّا للضَّرورة إذن: لا توافق فيها؛ ولذا فالنَّاس دائمًا يسعون بحثًا عمَّا يمكِّنهم من التوافق الذي به ينالون الاحترام مع وافر التقدير، ومن هنا لا يمكن أن ينهض شعب من الشّعوب ويرتقي نُقلة ورفعة ما لم يكن مقدرًا لكل الشّعب هويَّة وسيادة.

أ د. عقيل حسين عقيل

2021م اسطنبول

النُّقْلَةُ

النُّقلةُ (من – إلى) ليس بنُقلة مكانيّة، بل هي نُقلة مكانة بها يتم التمييز بين أمرين: كيف كنَّا؟ وكيف أصبحنا؟ مما يجعل التغيّرات الطَارئة لا تحدث هكذا ضربة عشواء، بل عن دراسة ودراية ومعرفة وبحث وتخطيط وفقًا لأهداف واضحة من ورائها أغراض، ومن وراء الأغراض غايات من بعدها مأمولات قد تمَّ بلوغها بِنُقلة تُظهر الفارق الكبير بين ما كنَّا عليه وما أصبحنا عليه رفعة وقمَّة.

ولذا فالنُّقْلَة تدلُّ على التحوَّل العلمي والثقافي والحضاري والأخلاقي من حالة أدنى إلى حالة أعلى وأرفع، وهو المفهوم الذي يعبّر عمّا حدث من تغييرات كان لها الأثر الرّفيع في تحسين الأحوال وتجويدها، ونقل أصحابها من المستويات والخانات الدُّنيا إلى مستويات عليا، وبالمقارنة بين ما كان وما أصبح الإنسان عليه يلاحظ الفرق الشاسع، والنُّقْلَةُ المعنويّة اكتساب حيويّة تملأ النفس طمأنينة، وتزيدها رغبة في العمل المنتج الذي به تتحقق العزّة، وتترسّخ الكرامة.

وعليه: فالنُّقلة غير النَّقلة؛ ذلك لأنَّ النُّقلة تطلق على الأثر الرّفيع الذي يظهر على من أصبح على غير ما كان عليه سُفليّة ودونيّة.

أمَّا النَّقلة: فهي ترتبط بالمحسوس المادّي، كنَقلة بضاعة، أو نَقلة ركّاب، أو أيِّ شيء يمكن أن يُشحن؛ وهي الاسم المفرد لمرّة واحدة من

النَّقْل، ويقول العسكري: النَّقلة لا تكون إلَّا عن مكان، وهي التحول منه إلى غيره[1]

ولهذا يلاحظ استخدام كلمة النَّقلة في غير مكانها، أي: إنَّها تستخدم من الكثيرين فيما ينبغي أن تستخدم فيه كلمة النُّقْلَة النوعيَّة.

وأقول لمن يرغب بلوغ النُّقلة: إنَّ تحدّي الصّعاب يحقّق النُّقلة النّوعيَّة، ويُمكّن من تجاوز المستويات القيميّة الثلاثة: (الذّاتية، والانسحابيّة، والأنانيّة) إلى المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيّة وبالعلائق النفسيّة والذوقيّة والثقافيّة.

ولأنَّ تحدّي الصِّعاب يُمكِّن من إحداث النُّقلة النوعيّة، فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية لمن يتحدّى الصِّعاب من أجل مأمول عظيم.

أمَّا الذين يعانون من حالات انسحابيَّة فأمرهم غير ذلك؛ فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيميّة التي هم عليها، ثمّ إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحفِّز على تحدّي الصِّعاب ويحقّق لهم النُّقلة.

[1] أبو هلال العسكري، الفروق اللغويَّة، دار العلم والثقافة، القاهرة، تحقيق محمَّد إبراهيم سليم، ص 147.

فدفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسريّة، أم علائق جيرة، أم عمل، أم سياسة داخلية أو خارجية، أم أمر سلم أو حرب، أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة يمكّنهم من بلوغ النُّقلة النوَّعيّة، وهكذا بالتمام تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهميَّة الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل يمكّنهم من إحداث النُّقلة.

وعليه: فإنَّ إحداث النُّقلة ليس مستحيلًا ولا معجزًا، بل إنَّه في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع ممكنٌ، ومن ثمَّ فَلِمَ لا يتم الإقدام على كلّ ما من شأنه أن يحدث النُّقلة ويحقّق الرّفعة ارتقاءً؟[2].

النُّقلةُ بلوغ مكانة:

مع أنَّ مفهوم النُّقلة يشير إلى التحوَّل العظيم من حالة أقل إلى حالة أهم وأعظم فإنَّ النُّقلة في ذاتها تدلُّ على بلوغ المكانة وتبوء مقام الرّفعة المأمولة من أهل الدّراية والمعرفة، وهي التي تنال التقدير والاعتبار من قِبل النّاس، والنّاس تأملها وتسعى إلى ما يمكّنها منها؛ بغاية تحسين الأحوال وتجاوز المخاوف، والتطلُّع إلى ما هو أهم وأعظم؛ إذ لا ثوابت للحاجات، ولا ثوابت لمشبعاتها، ولا حدود للمعرفة والبحث العلمي الممكِّن من بلوغ النّهضة فكرًا وثقافةً وعلمًا وحضارةً.

---

[2] عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعية (مفاهيم ومصطلحات)، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة: 2019م، ص 224.

ولذا فالمكانة لا تكون إلّا على الرّفعة، ولا تترسّخ ارتقاء إلّا بها، ومن ثمّ فمن أراد أن يكون له شأن؛ فليعمل على تحقيق المكانة قيمًا وفضائلًا، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيمًا وفضائلًا؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه ارتقاءً مأمولًا.

ولكي يبلغ الإنسان مأموله قيمًا وفضائلًا، فعليه أن يكون قدوة حسنة لبني جنسه، فإذا حكم عدل، وإذا شهد شهد حقًّا، وإذا عاهد أوفى، وإذا قال صدق، وإذا عمل أحسن عمله، وإذا تعلّمَ علّمَ، وإذا اكتال أوفى، وإذا رأى فتنة بين النّاس أصلح، وإذا غضب تملّك نفسه، وإذا ذُكِر بخيرٍ فعليه بالمزيد، وإذا ذُكر بسوءٍ فليصفح وليعفو، وليتقي الله في نفسه وفي غيره من النَّاس الذين شاء لهم الخالق أن يكونوا خليفة له في الأرض.

ولذلك فالتمسّك بالقيم كونها قيم، لا يفيد، بل المفيد العمل بها قولًا وسلوكًا، ولهذا ينبغي أن يتشرّبها النشء تربيةً وتعلّمًا وتعليمًا حتّى يجسدوها سلوكًا كما جسدها أهل المكانة.

فأهل المكانة هم دائمًا في علوٍ قيمي قولًا وسلوكًا، أي: علوٍ عن الرّذيلة وما يؤدّي إلى ارتكاب أفعالها وأعمالها التي ترفضها القيم الحميدة والفضائل الخيّرة.

ولأنَّ الكبرياء تعظيم شأن فهي التي تجعل أهلها مسؤولون وكرامًا، وفي المقابل من لا يكون عليها قيمًا وفضائلًا لا يكون إلّا في دونيّة وسُفليّة، ولهذا فإنَّ أوطان المتخلّفين تتخلّف بأسبابهم؛ حيث لا مسؤوليّة ولا أمانة

لديهم ولا إخلاص للوطن ولا كبرياء لهم عن النّواقص والرّذائل والمفاسد وما يُعيب وما يشين.

ولذا فمن بلغ المكانة العالية بلغ الرّفعة التي يأملها من خُلق في أحسن تقويم، ومن بلغ المكانة عملًا وسلوكًا نال الاحترام والتقدير والاعتبار من قِبل الغير، ولهذا فالمكانة تعظيم بما هو عظيم، ورفعة قدرٍ بما هو رفيع، فأهل المكانة يتّعظون بما هو عظيم، ويأخذون العبر من كلّ عبرة ومعتبر مما يجعلهم على حالة نُقلة من الوضاعة إلى الرّفعة.

ومن هنا فأهل المكانة لهم من الكبرياء ما لهم، فأصحابها يتكبّرون عن كلّ ما من شأنه أن يسيء للقيم والأخلاق والأعمال والأقوال، فالكبرياء تعالٍ عن كلِّ ما يؤدّي إلى الفتنة، أو يسيء للنّاس، ممّا يجعل الكبرياء هو المحقّق لرفعة المكانة المقدّرة والمعتبرة، ويجعل لصاحبها شأن بما اختار أن يكون عليه نُقلة.

وعلينا إذا أردنا بلوغ النُّقلة أن نميّز بين قيمة التكبُّر والاستكبار، فالتكبّر قيمة حميدة لتعظيم الشأن بعدم النزول في منازل السّافلين، كالتكبّر عن القول الزّور وعن أيِّ نعوت لا حقائق تسندها، وهو التكبُّر عن الأفعال التي لا تليق بمكارم الأخلاق، وهو الإخلاص في العمل مع وافر الأمانة، وهو السّلوك المثال الذي لا يقدر عليه إلّا من له مكانة مقدّرة. أمَّا الاستكبار فهو الاستعلاء عن الحقيقة والجحود لمبرراتها ومعطياتها وهو معاندة بدون حُجّة دامغة، فالمستكبر يقف على الحقيقة ويغض النّظر

عنها، بعدم اعترافه بأنّها الحقّ، مع العلم أنَّ هذا الأمر لا يُنقِص من شأن الحقيقة، بل يُنقص من شأن المستكبر عليها بغير حقٍّ.

وهذا يعني أن للتكبّر صفتان:

الصّفة الأولى: هي التكبُّر بالحقّ، عن المظالم وعن الأعمال الوضيعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، وهذه من صفات الذين يقولون الحقّ ويعملون على إحقاقه، أي: إنَّهم الذين يتعالون عن المكر والكيد وسفك الدّماء في الأرض بغير حقّ وإن حكموا بين النَّاس حكموا بالعدل، وإن قالوا صدقوا، وإن عملوا أخلصوا وإن عاهدوا أوفوا.

الصّفة الثّانية: التكبُّر عن الحقّ، بالحياد عنه والميل كلّ الميل إلى ما يؤدّي إلى إخفائه ومحاولة مغالبته بالباطل، والمتكبّرين عن الحقّ همّ الذين يقومون بأعمال الوضاعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، بما يقدمون عليه من أفعال لا تُرضي النَّاس، وهؤلاء همّ الذين إن قالوا كذبوا، وإن عملوا أفسدوا، وإن عاهدوا خلّوا ونقضوا.

وعليه: فإنَّ للتكبّر مبرراته كونه قيمة حميدة، ولا مبرّرات له ألَّا يكون قيمة حميدة، ولهذا تُحرّف القيم وتقوّض من قِبل أولئك الذين ضلُّوا فافسدوا فظلموا فطغوا وتكبّروا كما طغى وتكبّر من قلبهم المتكبّرون بغير حقّ، ولكن دائمًا التَّاريخ يمدّ بالعبر، فمن أراد أن يعتبر فعليه بالتَّاريخ لأخذ العبر منه، ومن لم يرغب في ذلك فالحاضر يكفيه درسًا حيًّا.

ولذا فالمفسدون همّ الذين يتكبَّرون عن الإصلاح، أمَّا المصلحون أهل المكانة فهم الذين يتكبَّرون بفعله بغاية إحداث النُّقلة، {وَإِذْ قُلْنَا

لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[3]. إنَّ استكبار إبليس كان استكبارًا عن الحقّ، أمَّا تكبُّر الملائكة فكان تكبّرًا بالحقّ، وهنا فالسّجود يدلُّ ويُعبّرَ عن الطَّاعة وبلوغ المكانة الرّفيعة التي تؤمل من الخيرين.

ولذا فالمتكبّر بظلمٍ هو الذي يعرف الحقيقة ولا يأبى إظهارها، ولا يأخذ بها، أمَّا المتكبّر بالحقِّ فإن دعي لنقيصة تكبُّر عنها، وإن دعاه سائل استجاب وفق استطاعته، وإن لم يستطع فلا ينهر؛ ولذا فالتكبّر صفة محتملة للإيجاب والسّلب؛ فتكبُّر العبد عن ارتكاب المظالم وارتكاب المعاصي قيمة إيجابيَّة، وفي المقابل ارتكابه للأفعال الذميمة والمفسدة في الأرض قيمة سلبيّة؛ ذلك لأنَّ الكبرياء لا يكون إلّا نقاء وصفاء مع الأنا الذي فيه كبرياء المخلوق ورفعة مكانته، والذَّات التي فيها كبرياء المجتمع، وكذلك كبرياء الضّمير الذي فيه تُقدَّر الإنسانية؛ ولذا ينبغي لمن شاء أن يحدث النُّقلة في نفسه أو حياته أو من أجله والآخرين أن يتكبّر عن:

الجهل:

فالجهل أساس كلّ داء يصيب المجتمع الإنساني تخلّفا؛ لأنَّ الجهل من شأنه أن يؤدّي بالإنسان إلى الانحطاط في أماكن الرّذيلة والمفاسد، والذين يتمسّكون بالجهل بأسبابه فهم في حاجة لمنقذ يخرجهم من ظلماته إلى نور الأيمان والعلم والمعرفة التي بها يرشدون ويبلغون مقامات النُّقلة رفعة وقمَّة.

---

[3] البقرة، 34.

ولأنَّ الصّراع من البدء الخلقي هو صراع بين جهل وعلم (شرّ وخير)؛ لذا فبالعلم تتحسّن الأحوال وتحدث النُّقلة، وبالجهل تسوء وتحدث السُّفليَّة والدونيَّة، ولأنَّ الأمر كذلك فالصّراع بين الخير والشرّ لم يحسم أمره بعد؛ فهو باقٍ ما بقي الجهل في مضادة العلم، ولهذا فالذين يجهلون حقيقة أنَّ استقرار أمن الوطن يكمُن في حقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسؤوليّات يتمّ حملها، فهم لن يناموا ساعة واحدة نومًا هادئًا وهانئًا، والذين يعلمون حقيقة ذلك ينامون في أوطانهم نومًا آمنًا هانئًا بمشاركة النَّاس فرحتهم بالممارسة الفعليّة للحقوق والواجبات والمسؤوليّات، مع توسيع دوائر المراقبة والمحاسبة والمسائلة للجميع؛ حيث لا قمّة سلطانيّة إلّا من الشّعب، ممّا جعل الحكّام في دول ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي يختارون عن إرادة لفترة محدّدة دستورًا، وهم بذلك يقبلون ولا يتجاوزون قرارات ودستور الشّعب قمّة، ولهذا لا وجود للمؤامرات ولا الانقلابات ولا المظالم التي تدور رحاها في أوطان التكميم تخلُّفًا ودونيَّة.

الشهوات:

إنَّها الشّهوات التي خلقها الله تعالى فينا، ولكنّ البعض لم يحسن فهمها وتهذيبها وضبطها والسّيطرة عليها، ممّا جعلها هي المسيطرة والقائدة للباطل والمفساد؛ قال تعالى: {زُيِّنَ للنَّاس حبّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ والأنعام وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ}[4]؛ فالشّهوات متوافرة في الحياة الدّنيا، ولكنّ البشر تفاوتوا في التعلّق بها، فمنهم من

[4] آل عمران 14.

اشترى الحياة الدّنيا بما تحويه من هذه الشّهوات، ومنهم من اشترى الآخرة بما فيها من خير عظيم وفوزٍ دائم، ولأنَّ الإنسان خلق ليكون على النُّقلة إنسانًا بحقّ في هذه الحياة الدّنيا، فلا ينبغي أن يقصر شهواته على الدّار الآخرة كما لا يقصرها على الدّار الدّنيا؛ ذلك لأنَّ الخالق خلق الإنسان في أحسن تقويم؛ ليكون وارثًا في الدّارين، ولهذا لا ينبغي أن ينسى نصيبه من الدّنيا، ولكن لا ينبغي أن يتجاوز الحدود القيميّة والفضائليّة التي أقرَّ لها الخالق حدود؛ ليكون المخلوق فائزًا في الدّارين نُقلة من بعد نُقلة.

وعليه: نلاحظ عندما تبدأ الدّعايات الانتخابيَّة في أوطان المتقدّمين علمًا وثقافة تُكشف الأوراق من قِبل الجميع حتَّى لا يكون الرّئيس المنتخب متّهم بارتكاب المفاسد الأخلاقيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، ومن ثمَّ يكون الاختيار بين الأفضل ومن هو أفضل منه، وبين الأقدر والأكثر مقدرة، أمَّا في بلدان الغير فغير ذلك، فالحاكم فيها يورّث حكمه أوّلًا لأبنائه، وإن لم يكن له أبناء فلأخوته، وإن لم يكن له أخوة فالأقربون الأقربون، وهكذا حتَّى بلوغ القبيلة والعصبيّة.

إذن: عندما يقبل الإنسان أن تسيّره الرّغبة فبصيرته تعمي وتقوده نحو الانحطاط؛ لذلك لا بدَّ للإنسان من الترفّع عن هذا الانقياد الأعمى للشّهوات ورفض سيطرتها عليه سُفليَّة، وأن يتكبّر عن هذه المفاسد المدمّرة، فبتكبّره الإيجابي هذا سينال المنزلة الرّفيعة والمكانة العالية، وسينال احترام نفسه واحترام النَّاس من حوله؛ ذلك لأنَّ الشهوات عندما تجعل الإنسان

عبدًا لها لا يملك لنفسه شيئًا أمامها سوى الضّعف والوهن والقبول بالانقياد أمام ما يشبع الشّهوة ولو كانت مفاسد بيّنة[5].

ولأنَّ أمر المكانة متعلّق بالرّفعة وتحقيق الأمل نُقلة، فمن يبلغ المكانة نُقلة بلغ الأمل الذي لم يبلغه الغير، ومع ذلك وراء كلّ مكانة مكانة لآمال أرفع وأعظم[6].

صُنعُ المستقبل يُحدثُ النُقلة:

مع أنَّ المستقبل لا يكون إلَّا في الزّمن الآتي بعد كلِّ قول أو فعل أو عمل، فإنَّ صُنعه لا يكون إلَّا في الوقت الآن؛ ولذا فصُنَّاع النُّقلة من الوقت الآن إلى المستقبل يعملون ليلًا نهارًا من أجل تحقيقها عملًا به تتغير الأحوال من مستوياتها الدنيا إلى المستويات المأمولة رفعة.

ومن هنا فصُنع المستقبل تَفكير وتخطيط وعمل مُضني بغاية إحداث النُّقلة إلى الأفضل والأجود مما عليه الإنسان في زمنه الحاضر إلى مستقبلٍ يأمله وهو الأرفع مما هو عليه من أحوال علميَّة وسياسيّة واقتصاديَّة ونفسيَّة وأخلاقيَّة، ولأنَّ نيل التقدير والاعتراف يحقّق النُّقلة النّوعيّة، فهو المكِّن من تجاوز المستويات القيميّة الثلاثة (الذاتيّة والانسحابيّة والأنانيّة) والامتداد إلى المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعيَّة والاقتصاديّة

---

[5] عقيل حسين عقيل، تقويض القيم من التكميم إلى تفجّر الثورات، ص 60 . 66.

[6] عقيل حسين عقيل، منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة: 2017م، ص 131.

والسياسيّة والنفسيّة والذوقيّة والثقافيّة، كما يعتمد على التعليم والتعلّم استطلاعًا لإحداث نُقلة عظيمة تغيّر الأحوال إلى أحوال مملوءة منفعة وطمأنينة مع وافر الرّضا.

ولهذا فالقاعدة هي:

. العمل على تحقيق النُّقلة.

والاستثناء هو:

. البقاء على حالة من التخلّف.

ولذا فالاعتراف بما يُبذل من جهود، يؤدّي إلى تحقيق الطمأنينة النفسيّة والرّضا النفسي ويغرس الثّقة، التي تمدّ الإنسان بالمزيد من العطاء الموجب، وتمدّه بقوّة الالتزام الأخلاقي الذي يحسّس الآخرين بأهميّة العمل على رد الجميل أو الفضل بما هو أجمل وأفضل منه.

ولأنَّ التقدير قيمة رفيعة وكذلك الاعتراف قيمة رفيعة بين النَّاس الذين يميّزون بين ما يجب وما لا يجب، فإنّ نيل كلّ منهما مبدأ أخلاقي وإنساني، وهنا يقول فرنسيس فوكو ياما: إنَّ الرَّغبة في الاعتراف والتقدير المحركان للتاريخ هما الحلقة المفقودة بين الاقتصاد الليبرالي والسياسة الليبراليّة، وكذلك يؤكد هيجل كيف أنَّ رغبة الإنسان في سبيل نيل الاعتراف والتقدير قد زجت به في فجر التَّاريخ في معركة دمويَّة من أجل المنزلة والمكانة الرفيعة.

ولأنّ التقدير والاعتراف يمكّنان من إحداث النُّقلة النوعيّة؛ لذا فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية عند من يبادلك الاعتراف، أو ينتظر أن تقدّمه له قيمة؛ فالعبد على سبيل المثال: في الوقت الذي يقبل فيه بالعبوديّة، يأمل أن يكون سيّده راضيًا عنه؛ ولهذا يكدّ ويجدّ ويتحمّل التّعب من أجل شيء مهم جدًّا هو نيل التقدير والاعتراف من سيده، بأنَّه عبدٌ مخلصٌ ومطيعٌ ومهذبٌ؛ ولذا فهو لا ينبسط إلا بانبساط سيّده منه، وهكذا حال المتعلّمين الذين يتنافسون على أخذ الصّدارة والفوز بها، تراهم يبذلون الجهود المثمرة (المحقّقة للفوز) من أجل أن ينالوا الاعتراف والتقدير من والديهما، ومن ذوي العلاقة بهم، ومن محيطهم الاجتماعي والإنساني وإلّا لماذا يبدلون المزيد من الجهد، وأيضا هكذا حال من يقول الحقّ، ويعدل إذا حُكّم، وحال من يعمل ويزرع ويصنع ويتصوّف أو يتعبد بموضوعية، أو يدخل المنافسات في المناشط المتعدّدة (الرياضيّة والفنيّة والثقافيّة والعلميّة والجماليّة) فهؤلاء جميعهم يسعون لنيل الاعتراف والتقدير من الآخرين الذين هم في محيطهم البيئي؛ إذ لا نُقلة بدون اعتراف وتقدير لما يجب ولمن يجب.

أمَّا الذين يعانون من حالات انسحابيّة فأمرهم غير ذلك؛ فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيمّية التي هم عليها، ثمّ إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحقّق لهم النُّقلة.

وعليه:

. كن إيجابيًّا لتنل التقدير والاعتراف.

. كن متفهِّما لتحدث النُّقلة.

. اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.

. قدّر الآخرين تنل التقدير منهم.

. ثق أنَّ الاعتراف يحقق قيمة التقبُّل.

. ثق أنَّ الجحود مفسدة.

. ثق أنَّ مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

. استوعب الغير يستوعبك.

. ثق أنَّك لن تحدث النُّقلة بدون جهود تعاضدك.

. ثق أنَّ الصِّعاب لا تصمد أمام التحدّي نُقلة.

. ثق أنَّ صُنع المستقبل نُقلة لا يكون إلَّا في الوقت الحاضر.

. ثق أنَّ الصّبر على تحدي الصّعاب يهزمها، ويحدث النُّقلة.

. ثق أنَّك بالاعتراف والتقدير تنال الاحترام وتزال من أمامك المعوقات.

وعليه ينبغي على المسئولين أنْ لا يغفلوا عن:

. تفعيل منطق (النّحن) بين أفراد المجتمع وجماعات التعلّم والعمل والجماعات الممارسة للمناشط المتنوّعة، والجماعات الممارسة للسياسة

والاقتصاد، والذين يشتركون في رسم الخطط والإستراتيجيّات لمجتمعاتهم أو دولهم أو لوضع رؤية مع الغير.

. تمكين أفراد المجتمع من تكوين إحساس عام مشترك، مفاده أنَّهم مفردات أساسيّة في الدّولة، ولهم حقوق يجب أن تمارسها، وواجبات ينبغي أن تؤدّى، ومسئوليَّات ينبغي أن تُحمل؛ حتى يصبح منطق الجميع: (نحن معًا) من أجل إحداث النُّقلة للجميع.

. التركيز على القيم الاجتماعيَّة التي تستوعب الأفراد والجماعات دون استثناء، مع تفطين الأفراد بأهميّة هذه القيم الاستيعابيَّة، وحثهم على احترامها وتقديرها والوقوف عندها والابتعاد عمّا يُبعدهم عنها؛ فهذا الأمر يجعلهم تحت مظلة الاحتضان الاجتماعي الذي يمدّهم بالدّفء والطمأنينة.

. حث أفراد المجتمع وجماعاته وفئاته على استيعاب بعضهم لبعض، وتقبُّلهم كما هم يُمكِّن من تكوين علائق قيميَّة ذات أبعاد أخلاقيّة وأبعاد إنسانيّة جليلة.

. ضع خطط وبرامج لتحقيق الألفة والمحبّة والموائمة الاجتماعيَّة والإنسانيَّة بين العاملين والمتعلمين، وبين أفراد الأسر والممارسين للمناشط المتعددة، وبين أصحاب الحضارات وأصحاب الأديان المتعدّدة، وبين أصحاب الحاجات المنقوصة والحاجات المشبعة؛ ذلك لأنَّ الرّب واحد والدّين واحد، والنُّقلة العظيمة لا تكون إلَّا بالجميع ومن أجل الجميع.

. دفع الأفراد تجاه الأفعال الاستيعابيَّة التي تُسهم في زيادة قوّتهم قوّة بغاية إحداث النُّقلة رفعة إنسانيَّة.

. المواءمة بين مطالب الأفراد وحاجاتهم، ومصادر الإشباع المتاحة في بيئتهم الاجتماعيَّة.

. التحريض على ممارسة أساليب الدّيمقراطيّة بما يحقّق المعاملة الحسنة بين الذين تربطهم علائق قيميَّة أو بين الذين تربطهم مصالح ومنافع مؤقّتة.

. غرس قيم الشفافيَّة واتباع أساليبها بين المتعلمين والممارسين لحقوقهم والمؤدّين لواجباتهم والحاملين لمسئوليَّاتهم.

. تفطين أفراد الأسرة من غفلتهم عن متطلبات المراحل العمريَّة للأبناء وأثر المتغيرات التي تحيطهم في البيئة الاجتماعيَّة أو في القرية الصغيرة؛ حتى يتمّ الاستيعاب الموضعي وتقدير الحاجات المتطوّرة عبر الزّمن، والعمل على إشباعها ونقلهم مما هم عليه إلى ما يجب أن يكونوا عليه نُقلة.

. دفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض، ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسريّة، أم علائق جيرة، أم عمل، أم سياسة داخلية أو خارجية، أم أمر سلم، أم حرب، أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.

. تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهميّة الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل.

. مشاركة الأفراد والجماعات في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر دون إنابة عنهم في أمر من أمورهم التي يقدرون على القيام بها أو أدائها، ولا داعي للأحكام المسبقة التي تقول: (أنّهم لن يكونوا قادرين)؛ ولذا فلا إمكانيَّة لتحقيق النُّقلة ما لم يتمكن الجميع من المشاركة البناءة.

. التأكيد على أهميَّة ممارسة الديمقراطيّة بشفافيّة، يزيل الشّكوك التي تظهر بين الحين والحين بين أفراد المجتمع أو جماعته، ويطوي الهوة بينهم إلى أن يجعلهم يدا واحدة في مغالبة الصّعاب وصُنع المستقبل المأمول نُقلة.

. التأكيد على أهميَّة الاستيعاب في تنمية رأس المال الاجتماعي وتحقيق الوحدة الوطنيّة رفعة.

. ترشيد الأفراد والجماعات على التمسّك بقيمة الاستيعاب؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق مجتمع القوّة الممكن من إحداث التغيير وبلوغ النُّقلة علمًا ومعرفةً ودرايةً.

. تفعيل المشاركة والتعاون بما يؤكّد أهميَّة كلّ فرد من أفراد المجتمع بالنسبة للآخر وحاجته إليه.

. التخطيط إلى كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى توزيع المسئوليّات حسب الاختصاصات والأدوار والصّلاحيّات قانونًا ودستورًا؛ لأجل تفعيل مبررات الاستيعاب المثمر.

. المشاركة في المؤتمرات العلميّة والسياسيّة والاقتصاديّة، للتعرّف على المتغيرات المستحدثة، التي تؤدّي إلى نتائج موجبة في العلائق الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، والإفادة منها في وضع البرامج وإعداد الخطط ورسم

الإستراتيجيّات التي تحقق النُّقلة ورفعة الشأن للفرد والجماعة والمجتمع، بل وللإنسانية جمعاء مع وافر المحبَّة.

. تشجيع أفراد المجتمع على إقامة صداقات خارج حدود الوطن من خلال شبكات المعلومات الدّوليّة؛ تحقيقًا للتواصل مع الآخر واستيعابه بما يحقّق التقارب وتبادل المنافع المشتركة.

. ترسيخ لغة ومفهوم (النحن)، حتى لا تسري الشخصانيّة والأنانيّة في سلوك وأفعال بني الوطن؛ ذاك لأنَّ كلمتي (أنا) و(أنت) تسمح بمسافة امتداد فراغي لتجذب مشاعر الخوف إليها، ومن ثمَّ فكلّما زاد تمسُّك الأنا بأناته اندفع (الأنت) لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظّنون وتقلل من الثّقة، التي ينبغي أن تسود بين بني الوطن؛ ولهذا وجب سيادة (أنا) الفرد ينبغي أن أسود بكرامتي، وأنا الحريّة ينبغي أن أعم النّاس، وأنا الشفافيَّة ينبغي أن أكون في السّلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصًا لأهلي، وأنا الأبوّة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي أن يُحرم أحد من مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرِّمت به الآدميّة، وأنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم حجّة إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير، وأنا النّاس كلّ النّاس الذين لهم حقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسئوليَّات تُحمْل، وأنا كلمة حقّ لا بدّ أن أقال، وأنت الباطل لا بد أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرّر، وأنت الاستعمار يجب أن ترحل، وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوّة، وأنا صاحب السُّلطة ومالك الثروة، وأنت الذي استولى عليهما

بغير حقّ؛ فأرحل خير لك من أن ترّحل؛ ولذا فأنت لم تكن أنا فلماذا لا تفهم؟ وفي المقابل نحن معًا نحدث النُّقلة.

من هنا تتَّضح قيم (النّحن) الاستيعابيّة، التي تُمكِّن الأفراد من الالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجَّة ولا برهان.

وعليه:

. استوعب النَّاس يتم استيعابك.

. اعترف بحقوق النَّاس يتمّ الاعتراف بحقوقك.

. قدّر النَّاس تنل التقدير منهم.

. عامل النَّاس بشفافية تُعامل بها.

. عامل النَّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.

. اعتمد المنطق حُجّة حتى يصبح قاسم مشتركًا.

. تفهَّم ظروف النَّاس يتم تفهّم ظروفك.

. التفت للنَّاس يلتفتون إليك، وفي المقابل إن أعطيتهم بظهرك فلن تجد إلّا ظهورهم في وجهك.

ولأنَّ التمسّك بالمنطق تمسّكٌ بالقواسم المشتركة. إذن: (التمسّك بالقواسم المشتركة) قاعدة، والتخلّي عنها استثناء.

ومن هنا، ينبغي العمل على تفطين أفراد المجتمع إلى أهميّة التمسّك بالقواسم المشتركة؛ حتى يتوحّد الجميع على منطق (نحن)، الذي لا يقبل التفرقة والتجزئة والإقصاء والتهميش.

ولهذا من أجل إحداث النُّقلة ينبغي أن تتمركز قواعد المنطق على الآتي:

- الحُجَّة إقناع واقتناع.
- البرهان دليل إثبات موضوعي.
- التقريب القيمي بالقواسم المشتركة.
- الاستيعاب بإعطاء الهامش.
- التوافق تمركز على عناصر القوّة.
- التفرّق تمركز على عناصر الضّعف.
- التقبّل رضا إرادي.
- الاعتراف إقرار بالفضيلة.
- الاعتبار إعطاء مكانة للآخر.
- التقدير معياري النجاح.
- التواصل استمراريّة علائقيّة.
- الشفافيّة وضوح في القول والفعل.
- الأخذ بما يجب يمكّن من إحقاق الحقّ.

. إحقاق الحقّ يمكّن من إحداث النُّقلة.

وعليه:

إنَّ تفعيل العلائق الاجتماعيَّة والإنسانيّة يؤدّي إلى التطلُّع والقّوة والنّمو ويحدث النُّقلة؛ أمّا إهمالها فيؤدّي إلى التراجع والانسحاب والضّعف الذي لا يؤدّي إلّا إلى الخسارة والانهزام.

ولذا فالتمسّك بحجّة المنطق يستوجب سيادة التفهُّم بين أطراف الحوار الذي به يتم تقدير الظّروف الاجتماعيَّة والاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيّة والذوقيّة والثقافيّة، فهذه الظروف من طبيعتها لا تتساوى بين الأفراد؛ حيث الفروق الفرديَّة، والفروق في الإمكانات المتاحة.

ولأنَّ المنطق يستند على الحُجَّة والبرهان وفقًا لمعطيات أو مسلّمات تتضمّن حقائق ودلائل وإثباتات موضوعيَّة؛ فإنَّ اعتماد المنطق والحُجَّة بين الأطراف المشتركة في وحدة الموضوع يُعد تمسكًا بالقواسم المشتركة بين الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات التي ينبغي دفعها إلى صُنع المستقبل بنُقلة بها تتغير الأحوال إلى ما يفيد وينفع ويعظم المكانة ويرسخ السيادة الوطنيَّة.

بلوغ المستقبل نُقلة:

مع أنَّ صُنع المستقبل نُقلة لا يكون إلَّا في الزّمن الحاضر فإنَّ بلوغه نُقلة لا يكون إلَّا لاحقًا في الزَّمن الآتي؛ ولذا فالنُّقلة إلى المستقبل لا تحدث ولا تتحقّق إلى بجهود عظيمة مع حيويّة جادّة في نيل المأمولات الرّفيعة، وهي التي لا تُبلغ إلَّا بتطلّع إلى بلوغ ما هو أعظم، وهو الذي يجعل

الشّخصية في حالة ميل من المستوى الذّاتي إلى المستوى الموضوعي، ويجعل علاقاتها الاقتصاديّة علاقات مجتمعيّة لأجل خدمة الجميع دون تمييز أو تحيّز، ومثل هذه الشخصيّة المتطلّعة بغاية إحداث النُّقلة عقلها العلمي لا يفارقه المنطق حجّة بحجّة، مما يجعل الاكتشاف العلمي من مميّزاتها الموضوعيّة والإبداعيّة؛ ولهذا فهي في حالة رغبة للعمل المنتج؛ لأجل إبراز قدراتها المتميزة عن غيرها من العاملين أو المنتجين، ولأنّها شخصيّة متطلعة للمستقبل فإنّها تميل إلى التّعرف المباشر على التقنية؛ ولذلك لا تتأخر عن الاتصال مع الغير لأجل استعارة التقنية التي ترى فيها معطيات التّقدم ومبررات العصرنة؛ ولذا فهي الشخصيّة المنسجمة مع ذاتها ومع ما يجب أن يحدث لها النُّقلة إلى الأفضل والأنفع والأجود، ومن ثمَّ فهي القادرة على التوفيق بين ظروف المجتمع ومتغيرات الحداثة وما يحدث النُّقلة دون أن يكون على حساب الفضائل الحميدة والقيم الخيّرة وما يشبع الحاجات المتطورة دون مظالم.

إذن: فالشّخصية المتطلّعة بغاية إحداث النُّقلة هي التي تتطلّع لِما هو أفضل على مستوى الأنا ومستوى الآخر، ولهذا بالنسبة لها الاعتدال في قول الحق حقٌّ، والاعتراف به اعتراف بما ينبغي ويجب، وإنكاره إنكار للحقيقة، مع العلم أنَّ إنكار الحقيقة لا يُلغيها.

وعليه: إنَّ الشّخصيّة المتطلِّعة هي التي تتمسّك بحقوقها وتمارسها، وتؤدّي واجباتها، وتتحمّل مسئوليَّاتها، وتعترف بأنَّ للآخرين ما يماثل ما لها، فهذه الشخصيّة تعيش حالة التقمّص القدوة الحسنة؛ حيث تستعير شخصيّة الآخر وتسعى للذوبان فيها بما أنَّها مثال للاحتذاء، بوصفها

القدوة التي تعتقد أنّها الأفضل، وهذا يدلّ على أنَّ الشّخصيَّة في حالة تطلّع لِما ينبغي أن يحدث النُّقلة، وبالمنطق ينبغي على الإنسان أن يفكّر ويسعى لأن يكون على مستوى أفضل ارتقاءً، وعندما يسعى لِما هو أفضل بالضّرورة سيجد نفسه في ظروف تمكّنه من الاختيار بإرادة والعيش الرّغيد، وهذه الظّروف تمكّنه أيضا من الاقتران بذاته ولا ينفصل عنها، سواء في حالة التمركز التّام، أم في حالة التطلّع لِما ينبغي أن يحقق النُّقلة للأفضل والأنفع والأجود ارتقاءً، هذه هي الشخصيّة المتطلِّعة، التي تحتكم إلى المنطق عند كلّ تصرف، وتنتقي تصرفاتها وأفعالها حسب كلّ ظرف وكلّ حالة، ولا تعمم سلوكيّاتها في المواقف المختلفة، ومن صفاتها الإخلاص في أداء الواجبات والمهام المناطة بها، إنّها الشّخصيّة التي توصف بذاتيّة تميل إلى الموضوعيّة؛ وذلك لإقبالها على ما يظهر الحقيقة، وحصرها للأهداف الممكنة التحقيق، وسعيها للإنجاز كمتوقّع منطقي، إنّها الشخصيّة التي تميل إلى المشاركة في الأحداث الموجبة بغاية بلوغ النُّقلة ونيل المأمولات المترتبة عليها.

إذن: الشّخصيّة المتطلّعة لإحداث النُّقلة المعرفيّة والعلميّة والحضاريّة عقلها استنتاجي، ومن ثمَّ فهي قادرة على الاستنباط المعرفي المجرَّد؛ حيث تلتجئ إلى التمييز بين المواضيع بمعطيات عقلية أكثر من التجائها إلى التفسير المادّي المباشر؛ وذلك نتيجة لتجاوزها مستويات الذاتيَّة الاجتماعيَّة، ولبلوغها مستويات ذاتيّة تميل إلى الموضوعيّة، تنتهج الأساليب العلميّة في سلوكها المعرفي وتعتمد في أحكامها على المعايير التي تمكّنها من التمييز علمًا ومعرفةً ودرايةً، إنَّها الشخصيّة الطموحة المتطلعة للأفضل

والأجود، التي ترى أن التحصيل العلمي هو المؤدّي إلى الوصول إلى ما هو أجود أو أفضل؛ فتبني كل طموحاتها على هذا المبرر القيمي مع توظيفها وتسخيرها لكل ما تستطيع من إمكانات ماديّة وبشريّة مساندة.

وعليه: فإنَّ النُّقلة ارتقاء تُمكِّن من بلوغ المكانة التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان قمّة، وهي القيمة التي لا تُبلغ إلّا بمزيد من الجهد العقلي جدًّ ومثابرةً، وفي المقابل هناك من لا يُميّز بين إحداث النُّقلة، وما يجري من تغيّرات وتطوّرات متّسقة كما هو الذي يطرأ على الكائنات الحيّة، وما يطرأ عليها من تغيّر في الجينات والسّمات.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع؛ فهو مؤهّل لأن يرتقي إلى ما هو أفضل قيمة ونُقلة؛ ولأنّه كذلك فالأمل لا يفارقه؛ ولهذا فهو يبحث من أجل بلوغ القمّة التي لا تُبلغ إلّا بالمزيد العلمي والمعرفي، والعمل المنتج، وإصلاح ذات البين، وتحدي الصّعاب بكلّ ما يمكّن من قهرها.

فالكائنات التي يظنّ البعض أنَّها متطوّرة، نعتقد أنّ التطوّر يستوجب إرادة تمكّن من اتخاذ قرار من وسط مجموعة بدائل، وهذه الخاصيّة غير متوافرة عند الكائنات التي لم تُخلق في أحسن تقويم؛ ولذلك فالكائنات قابلة لأن تتغيّر وفقًا لقاعدة التكيّف بأسباب الضّرورة الطبيعيّة، وحتى إن دُرِّب منها ما دُرّب أو عُلّم؛ فهو لن يتطوّر كما هو حال الإنسان وارتقائه نُقلة؛ فالإنسان خُلق متميّزًا بخصائص وصفات الارتقاء التي لم تكن من خصائص بقية الكائنات وصفاتها؛ ولذلك فالإنسان في دائرة الممكن ارتقاء

يتذكّر ما يؤلم وما يفرح، ويؤهّل حاله عن تدبّر بما يمكّنه من العمل المنتج الذي يمكّنه من بلوغ النُّقلة ونيل المأمول ارتقاءً، وفي الوقت ذاته يفكّر في كيفيّة تمكّنه من بلوغ ما يجب أن يكون أفضل وأجود وأكثر ارتقاء.

ومع أنَّ الإنسان ارتقاء خُلق في أحسن تقويم، فإنّه بعلّة المعصية والشّهوة والرّغبة قد انحدر هبوطًا منذ خلقه الأوّل، ومع ذلك منذ تلك اللحظة التي قُبلت فيها توبته، ظلّ آدم ومن بعده بنوه على الأمل في حاضرهم، ومع إنّه الأمل في الزّمن الحاضر، فإنّه يتعلّق ارتقاء بما هو ماضٍ (تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم)، وهو ما لم يتحقّق بعد.

ولذلك فالتطوّر يمكن أن يكون خاضعًا للمشاهدة مثل الإعمار وبناء الحضارات، وهذه من خاصيّة الإنسان التي لا يشاركه فيها غيره، ومن هنا يُصبح الارتقاء نُقلة في دائرة الممكن يستوجب بحثًا علميًّا مضنيًا، وجهدًا ينجز وفقًا للأهداف المحدّدة والآمال المرجوة، والأغراض التي من ورائها، والغايات التي لا تبلغ إلَّا قمّة ورفعة. وفي المقابل يمكن أن يكون التطوّر خاضعًا للملاحظة، مثل السّلوك وما يطرأ عليه من تغييرات مقصودة، وهذه تشترك فيها كلّ المخلوقات بما فيها من خُلق في أحسن تقويم.

فالإنسان في دائرة الممكن، ارتقاؤه القيمي يُرسّخه قيمة في ذاته، قيمة تستوجب مزيدًا من الاحترام والتقدير والاعتبار؛ وذلك بما يفسح له مجال العدل الممكّن من العلم، والعمل، والتملّك، والتمدّد إلى النّهاية دون أن يكون له تمدّدٌ على حساب الغير.

وهنا فالممكن ارتقاءً هو المتاح تذكّرًا وتدبّرًا وتفكّرًا، وهو ما يمكن بلوغه قدرة واستطاعة، وهو ما لم يكن مستحيلًا حتى وإن كان صعب التحقّق، وهو الذي ليس له وجودًا لو لم يسبقه وجود خَلق ونشوء، ومع ذلك وجوده لا يعدّ إن لم يلاحق الخَلق والنشوء ارتقاء.

ولأنَّه الممكِن ارتقاء فهو بين متوقّع وغير متوقّع؛ فالمتوقّع منه هو الذي بحدوثه لا تحدث المفاجأة، ولا الاستغراب، ولا توضع علامات التعجّب، أمّا غير المتوقّع فهو الذي لا تتوافر معطيات حدوثه بين أيدي النَّاس، ومع ذلك يقع، ممّا يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقّع في دائرة الممكن؛ ولهذا إذا ما حدث غير المتوقّع حدثت المفاجأة أو التعجّب والاستغراب.

فغير المتوقّع يقع أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السَّابقة على وقوعه، ممّا يجعله يقع (هو كما هو) إثباتًا، ومن هنا ينبغي أن يتمَّ التعرُّف على غير المتوقّع وعلى علله ومسبّباته لاحقًا؛ ليتمَّ التعرُّف على نقاط الغفلة، أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المتوقّع، وهكذا بالتقييم والتقويم تصلح الأحوال وتحدث النهضة الممكّنة من بلغ النُّقلة المأمولة.

فالمتوقّع وغير المتوقّع متغيران رئيسان في دائرة الممكن، التي فيها تتساوى فرص ظهور كلّ منهما بنسبة ثابتة قدرها (50%)، والمتوقّع يمكن أن يكون سالبًا، ويمكن أن يكون موجبًا؛ فالموجب منه لا يكون إلّا وفقًا لما هو مأمول نُقلة، والذين لا يأخذون حذرهم يرسمون خططهم وسياساتهم

وفقًا لِما هو موجب متوقّع، وكأنَّ الحياة لا تُحفُّ بالمخاطر، وكأنَّ العلائق بين النَّاس لا تُبنى إلّا على الصّدق فقط؛ ولذلك فهم دائمًا يفاجئون؛ كونهم لم يحدّدوا لغير المتوقّع موضعًا، ومن ثمَّ فلا نُقلة.

وعليه:

ينبغي من أجل بلوغ النُّقلة أن تُرسم الخطط والسّياسات والإستراتيجيَّات وفقًا لدائرة الممكن التي تحتوي ما هو متوقّع موجبًا وما هو متوقّع سالبًا، وما هو غير متوقّع موجبًا، وما وهو غير متوقّع سالبًا.

وبما أنَّ الممكن ليس مستحيلًا فعلى الإنسان أنْ:

. يفكّر فيما يفكّر فيه قبل أن يقرّر ويعمل.

. أنْ يخطّط لما هو غير متوقّع مثلما يخطط للمتوقّع.

. أنْ يعمل ارتقاء بلا تردّد ولا يأس؛ حتى يُرتَقَ الممكن بالمستحيل قمّة.

. أنْ يقبل تحدّي الصّعاب؛ فالصّعاب تُقهر، ولا مستحيل في دائرة الممكن، ولا استغراب، بل الاستغراب ألّا يتمّ تحدّى الصّعاب التي تحول بين الإنسان وبين ارتقائه نُقلة وقمّة.

ومن ثمَّ فمن يرسم الخطط والإستراتيجيّات ويعدّ البرامج وفقًا لِما هو متوقّع، عليه أن يعرف أنَّ ما يفكّر فيه معرّض لمواجهة غير المتوقّع، ممّا يلفت انتباهه إلى التفكير في غير المتوقّع بخطط بديلة تواجه ما يمكن مواجهته من مواقف أو أضرار أو مخاطر قد تحدث؛ ولذلك فالزّمن الحاضر

هو زمن التخطيط والتدبّر والتذكّر والتفكّر، وهذا يعني: أنَّ دائرة الممكن هي التي فيها ينصهر الزّمن حاضرًا، أي: إنَّ التذكّر الذي يرتبط بما هو ماضٍ، لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وكذلك التفكّر الذي يتعلّق أمره بما لم يتحقّق بعد لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وفي الوقت ذاته يتدبّر الإنسان أمره وكأنّه لا يعيش الزّمن إلّا حاضرًا، أي: إنَّ الذي يتذكّر في دائرة الممكن لا يجب أن ينظر لما يتمّ تذكّره من الماضي وكأنّه لن يتكرّر، بل ينبغي أن يراه وكأنَّه الآن يواجهه تحدٍّ، ممّا يجعله في وقته الحاضر متحدّيًا له بحلولٍ حاسمة تمكّن من بلوغ النُّقلة، وهكذا ينبغي أن يفكّر فيما يمكن أن يواجهه مغالبة، حتى لا يحدث وتحدث المفاجآت المؤلمة التي تؤدّي إلى الانتكاسة أو الانحدار، بدلًا من أن تؤدّي إلى بلوغ القمّة ارتقاء نُقلة.

ولذا فالممكن احتمالًا يسبق ما يمكن أن يكون محتملًا أو غير محتملٍ؛ ولهذا فلا يتحقّق الممكن إلّا في دائرة الحاضر، حتى وإن أصبح ذلك المتحقّق في دائرة الزّمان مسجّلا؛ فالممكن المتوقّع وغير المتوقّع في زمنه الحاضر يسبق حدوث الفعل، ومن ثمّ يظل الممكن تحت الانتظار إلى أن يتحقّق أو لا يتحقّق، ومن هنا، يصبح للممكن مصادق تثبت حدوثه أو تبطل حدوثه.

فالممكن في زمنه الحاضر يُلاحق العبر والمواعظ، ويتزامن مع التدبّر، ويسبق المأمول حتى يتمّ بلوغه ارتقاء نُقلة؛ ففي الزّمن الحاضر لا انتظار لشيء يعود إلّا استدعاء ذاكرة، ولا انتظار لشيء يأتي وهو لم يكن شيئًا، ولا شيء يحدث إلّا في الزّمن الحاضر.

وبما أنَّ في دائرة الممكن لا وجود للمستحيل، إذن: فمن الممكن التفكير في المستحيل حتى معرفته مستحيلًا، وعندها يدرك الإنسان أنَّه في حاجة لمزيد من الارتقاء، ومع أنَّ الإنسان يتوقّع ما هو ممكنٌ، فإنَّه قد لا يستطيع تحقيقه بأسباب قصور قدرته ومحدوديّة إمكاناته، وعلى الرّغم من ذلك؛ فعليه أن يعمل مع من يمكّنه من الارتقاء تحدٍّ؛ فالصّعاب لا تصمد أمام التحدّي بغاية إحداث التغيير نُقلة.

ولهذا فالإنسان يتذكّر ويتدبّر ويفكّر في كلّ ما من شأنه أن يُظهر له ممكنًا، ويمكّنه من إنجازه، أو تحقيقه بغرض الارتقاء إلى ما هو غاية مأمولة البلوغ.

وبما أنَّ كلّ شيء ممكنٌ؛ فلِمَ لا نفكّر فيه بلا قيود؟ حتى وأن وضعت عليه القيود علّة بأيّة علّة؛ فيجب أن تفكّ العلل مع القيود، ولكن إن لم تفكّ العلل والقيود؛ فعلامات الاستفهام والاستغراب وأفعال المواجهة ستكون ارتقاء في الميادين والشّمس في كبد السّماء؛ ولذلك فالاستغراب يَحدث عندما يَحدث غير المتوقّع في الزّمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقّع، وهنا تكمن المفاجأة، التي لا تظهر إلّا بغفلة عمّا هو غير متوقّع.

وعليه فصُنع المستقبل نُقلة يستوجب الآتي:

. دفع أفراد المجتمع إلى العمل المنتج الذي يُمكِّنهم من الوفرة التي تُسهِم في إشباع حاجاتهم الضّروريّة؛ ليعيشوا حياة تعليميّة وصحيّة واقتصاديّة مزدهرة ومرضيّة.

. دفع الأفراد إلى ميادين العمل المنتج التي فيها يتمكّنون من إشباع حاجاتهم للمشرب والمآكل والملبس والتنقّل، وإلّا سيظلون في عازة ممّا يجعلهم بعيدين عن محققات الرّفاهية الاجتماعيَّة وصُنع النُّقلة ارتقاء.

. تفطين أفراد المجتمع إلى ما يؤدّي إلى إشباع الحاجات الضّروريّة، وإلى ما يؤدّي من بعدها إلى إشباع الحاجات الكمالية المتطوِّرة.

. دفع أفراد المجتمع إلى زيادة الإنتاج حيث الحاجات المتطوّرة التي تبحث عن مشبعات غير ثابتة، فما كان لا يعدّ حاجة ضرورية في الزّمن الماضي أصبح من الأولويات في هذا العصر، وهكذا هي الحاجات تتطوّر عبر العصور وستظل دائمًا على هذه الحالة ارتقاء.

. تفطين مؤسّسات المجتمع الخدميَّة والإنتاجيّة وهيئاته وشركاته لاستيعاب أفكار العاملين والمتعلمين والاستجابة لمطالبهم المتطوّرة ورغباتهم المتنوّعة مع حركة التغير والتطوّر الاجتماعي.

. تنظيم العلاقة بين رغبات العملاء وظروفهم الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، التي قد لا تمكِّنهم من بلوغ مشبعات رغباتهم ما لم يستثمروا كلّ ما لديهم من طاقات مع مضاعفة الجهد المبذول تجاه محقّقاتها.

. تفطين الأفراد من انغلاقهم داخل دائرة الذّات الاجتماعيَّة إلى الانفتاح على الآخرين أصحاب العلم المتقدّم، والتعرّف على ما يمتلكونه من منافع وعلوم وتقنية، وتعلّمها والأخذ بأسبابها.

. تنمية روح الطموح والتّجدد لدي أفراد المجتمع؛ حتى يتطلّعوا إلى صناعة المستقبل الذي يمدّهم بأسباب إحداث النُّقلة وبناء الذّات حتى تتمكّن من دخول ميادين المنافسة والإنتاج العلمي والبناء الحضاري.

. ترشيد الأفراد بما يؤدّي بهم إلى تنظيم حياتهم وتقدير ظروفهم في ضوء الظّروف المحيطة والمتطوِّرة؛ ليكوِّنوا علاقات موجبة معها، حتى يتمكّنوا من مواكبة حركة التطوّر والتغير الاجتماعي والإنساني في القرية الصّغيرة.

. استيعاب المتغيّرات الجديدة التي جعلت من العالم قرية صغيرة والترابط مع شبكاتها المعلوماتيَّة؛ لأخذ المزيد المعرفي من أجل تحقيق حياة إنسانية شاملة بغاية تحقيق النُّقلة للجميع.

. تفطين أفراد المجتمع إلى أخذ ما هو نافع وترك ما هو غير نافع؛ فالقرية الصّغيرة مملوءة بالجديد النّافع والجديد غير النّافع؛ فيجب التمييز قبل الإقدام، ومن هنا يجب الاهتمام والانتباه.

. عدم الإغفال عن حقيقة مفادها: (أنّ الحياة بطبيعتها في حالة تطوّر) فلا داعي للغفلة وضياع الوقت.

. تفطين الأفراد إلى استثمار ما لديهم من إمكانات وطاقات والتطلّع إلى ما يفيد من قِبل الآخرين؛ حتى يتمكّنوا من العيش برفاهية اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة وأخلاقيَّة وإنسانيَّة.

. حث أفراد المجتمع على التطلّع بغاية أخذ المفيد النافع للفرد والأسرة والمجتمع كلّه مع الإسراع بهم إلى أخذ المزيد وتطويره حتى بلوغ النُّقلة من بعد النُّقلة تطوّرًا.

. دفع الأفراد لمواكبة حاجاتهم المتطوِّرة، وعدم التأخر عن ممارسة ما من شأنه أن يُعجِّل من طي المسافات بين النقطة التي هم عليها، ومحققات الرّفاه الاجتماعي.

. التأكيد على أهمية بلوغ الجديد المفيد الذي يُعزز ثقة الأفراد بأنفسهم وبذواتهم الاجتماعيَّة، ويحقّق لهم أبعادًا إنسانيّة في المجالات العلميَّة والاقتصاديّة والسياسيَّة والنفسيَّة والذّوقيَّة والثقافيَّة.

. تحريض مؤسّسات المجتمع على اختيار المعروض الأجود ممّا وصل إليه التقدّم العلمي والتقني، والإقدام على تطويره، فالقوّة المبدعة في العالم لن تنتظر وستواصل التقدّم والتطوّر، فعلى مؤسّسات المجتمع وهيئاته وشركاته دخول ميادين السّباق العلمي وإلّا سيظل المجتمع قعيدًا في مؤسّسات الرعاية الاجتماعيَّة؛ ذلك لأنَّ إشباع الحاجات ضرورة إنسانيّة، ولأنَّ إشباع الحاجات ضرورة إنسانيَّة، تأسّست هيئات وجمعيَّات ومؤسّسات دوليّة إنسانيّة لتقديم المساعدة لمن هم في حاجة إليها، سواء دول بحالها أم جماعات منها.

ولذا تأتي المخاطر أو تظهر الإشكاليّات من فقدان مشبعات الحاجة المتطوّرة، ولا يتحقّق الأمن والاستقرار والرّضا الاجتماعي إلا بالإشباع؛ فالجوع والخوف والإكراه والانحرافات ذات علائق، وفي المقابل الإشباع والأمن والرّضا هي الأخرى ذات علائق، ومن هنا يجد التعسير مكانًا له، ويجد التيسير مكانة لمن شاء أن يُحدث في نفسه نُقلة تحقّق له نُقلة أعظم.

ولذا لا يستقرّ البلد (أيّ بلد) إلَّا باستقرار أمنه، وارتقاء اقتصاده، وشفافيّة نظامه، وقوّة إرادة شعبه، وهيبة مشبعات حاجاته؛ ولذلك فإشباع الحاجات ضرورة فطريَّة وغريزيَّة وأخلاقيّة وإنسانيّة فلا ينبغي غض النّظر عنها بأيّ علّة من العلل أو أيّ مبرر من المبررات الواهية.

إذن: من باب الضرورة والوجوب والأخلاق نقلة لا مفرَّ من إشباع الحاجات البشريَّة المتطوِّرة عبر الزّمن، ومن يُهمل أو يغفل عن ذلك يجد نفسه في حالة مواجهة مع الذين فقدوا مشبعات حاجاتهم.

وعليه فالقاعدة هي:

. تطوّر الحاجات.

. تطوّر المطالبة بها.

. تطوّر مشبعاتها.

. تطوّر أساليب الإشباع.

صُنعُ الأمل نُقلة:

صُنع الأمل ليس بصنع المستقبل؛ ذلك لأنَّ صُنع الأمل يتعلّق بتفطين العقل، حتى يلتفت إلى ما هو عليه وما يجب أن يقوم به نُقلة، أمَّا صنع المستقبل فلا يكون إلَّا برسم الخطط عن وعي ودراية، ومع ذلك لن يُصنع المستقبل نُقلة ما لم يسبقه الأمل صُنعًا.

ومع أنَّ الأمل على علاقة مباشرة بين الآمل وما يأمله فإنَّ صُنعه لا يكون إلَّا بالعمل دراية ومعرفة؛ ولذا فالأمل كونه استشعار الحيويَّة والمقدرة

فهو قابل لأن يتمدّد قوّة تجاه المأمول رغبة وإرادة، ومع ذلك فالأمل لم يكن في العقل قالبًا جاهزًا، بل مولود تلك الحيرة التي تجول في العقل وتستفزّه تفكيرًا وبحثًا عمّا يجب حتى يَرشُدَ معرفة تقتنص مأمولًا، يستوجب جهدًا يبذل لنيله، والذي بنيله تحدثُ النُّقلة.

ومن ثمّ فالأمل لا يُصنع إلّا والحيرة تسبقه تفكيرًا وبحثًا وتدبّرًا، حتى تنجلي غيوم الذّهن والنفس فتنتج فكرة تخلّص من الحيرة، وترشد لما يفكّ التأزمات ويخلّص من القلق، ويمكّن من العمل المنقذ ممّا يخيف ويؤلم.

ولأنَّ الفكرة أملٌ مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه، ولّدت منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النّاس، وهي لا تكون كذلك إلّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزّات الخَلقيّة والخُلقيّة أثارت العقل انتباهًا لما يجب؛ فتدفعه حيويّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين المحيّر والمأمول.

ومع أنَّ الفكرة تخلّص من الحيرة، فإنّها لا تكون نُقلة ارتقاءً إلّا من بعدها؛ فالحيرة بالنّسبة للفكرة تعد مخاض ولادة، وولادة الفكرة بدون حيرة تسبقها هي: ولادة قسريّة، فلا يمكن أن يتطابق الزّمن الافتراضي لولادتها مع زمن قسريتها، فتلد مشوّهة، ومن ثمَّ ستكون الحلول أو المعالجات أو الإصلاحات المترتّبة عليها منقوصة، أو منحرفة تجاه المخالف للمأمول ارتقاء ونُقلة.

ومع أنَّ هذا الأمر يعد سالبًا بالنّسبة إلى الفكرة ارتقاءً، فإنَّه الأمر المحيّر والمستفزّ لعقول الآخرين إيجابًا، ممّا يحفّزهم ويدفعهم إلى الالتفات تجاه المحيّر، حتى تلد الحيرة فكرة، تخرج من التأزّم.

ومع أنَّ زمن الحيرة الفكريَّة مُقلق لمن ألمت به وألمّ بها، فإنَّه المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير ارتقاء؛ ولذلك فالبحوث العلميّة ارتقاء تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الجديد المحفّزّ على حيرة جديدة من بعدها محيرات تُمكّن من إضافة ما هو أفيد وأنفع بغاية نُقلة مأمولة.

إذن: فلا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يُقتنص له حلّ، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشيء استحالة أو إعجازا أو ممكننًا، حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة تلد له أملًا وحلًّا.

وهذا لا يعني: أن تكون الحيرة غاية في ذاتها، بل الغاية من ورائها مأمول يحدث النُّقلة، ولكن هذا الأمر يتطلّب مقدرة على تحدّي المقلق بما يُقلقه، حتى يصبح القلق بولادة الفكرة في خبر كان؛ فأهل العلم والبحث العلمي لا يمكن أن يصلوا إلى غاية الارتقاء إلّا بعد الحيرة، ومن لا يقبل الجلوس مع الحيرة تحدٍّ؛ فلا إمكانيَّة لأن يُكتب له التحدّي في ميادين العلم والمعرفة المصنّفة، ولا يمكن له أن يبلغ النُّقلة رفعة.

فالحيرة العلميَّة لا تواجه إلا الجادّين، ولهذا ينبغي أن نعرف أنَّ الحيرة درجة متقدّمة من التفكير العلمي الذي ينبغي على الباحث تقبُّله وعدم

الحياد عنه إلى أن يصل بتفكيره المنظّم إلى الانتباه الذي يقوده إلى الاختيار واتخاذ القرار عن وعي وإرادة ويقين حيث لا خروج من الحيرة العلمية إلا بتحديد موضوع البحث الذي تمحور على إشكاليّة لا مفرّ من البحث فيها إن أردنا بلوغ المأمول ونيله نُقلة.

وكما أنَّ الحيرة يقظة عقليَّة تستوجب مواجهة القلق بما يُقلقه؛ فكذلك الصّعب يعد معطية مثيرة للعقل ومستفّزة لملكاته التي تتحفّز إلى المواجهة معه متى ما اعترض طريقها، ومن هنا، بدأت مواجهة العقل للصّعب تحدٍّ من ورائه تحدٍّ، وفي المقابل الصّعب يقدِّم التنازل من بعد التنازل.

فالصّعب ليس بالمستحيل ولا المعجز، حتى يستحال تحدّيه، بل ميادين تحدي الصّعب فسيحة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع وبخاصّة من الآملين، فهم لا يخافون مواجهة الصّعب، بل الخوف بالنسبة إليهم ألا تحدث المواجهة معه؛ فالمواجهة العقليَّة معه كلّما حدثت عن تدبّر فكرة، أنتج العقل فكرة أكثر ارتقاء؛ ولذا ستظل الفكرة عقليَّة إلى حين استخراجها فيما يمكن أن يكون على الشّكل أو الصّورة، أو المفهوم والدّلالة والمعنى، والتجسّد سلوكًا.

ومع أنَّ العقل مكمن الفكرة، فإنَّه أيضًا منبع الأمل، ومع أنَّهما معًا من إعمال العقل وفي محفظته، إلَّا أنَّ الأمل يتعلّق بالغايات الخارجيَّة، التي في دائرة الممكن لا تُبلغ إلّا تخييرًا وإرادةً، ومن ثمَّ فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار الممكّن من التدبّر وحمْل المسؤوليَّة، ومن لا يمتلكها، فإشارة قف

لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف الارتقاء؛ ولذلك وراء كلّ غاية مأمول ونُقلة.

ولأنَّه الأمل صنعًا؛ فهو لم يكن معجزًا ولا مستحيلًا، ولأنَّه لم يكن كذلك، فَلِمَ لا يُصنع! أي: لا استغراب من صنع الأمل، بل الاستغراب ألا يتم الإقدام على صُنعه، وصنع الأمل نُقلة يستوجب:

- إرادة.
- تحدّ.
- مقدرة.
- تخطيط.
- إعداد عدّة.
- صبر.
- إمكانات.
- عزيمة.
- إدارة زمن.
- امتلاك رؤية.

إذن: الأمل لا يُمنح من أحدٍ، فلا داعٍ للانتظار، أو حتى للالتفات، فمن أراد أملًا فعليه بعقله دون الاتكاء على عقول الغير؛ فالغير يمكن أن

يعطوك رأيًا أو يقدّموا لك رؤية، ولكنّهم لن يعطوك أملا حتى وإن أرشدوك إلى مستقبل يرونه أفضل؛ فلا تعتمد على أصابع الغير في حكّ جلدك.

إذن: الأمل تستفزّه الحاجة المدخلة للحيرة التي فيها يجد العقل نشاطه الفكري كلّما وجد الصبر في النفس مكانة، ولكن أن رفضته النفس قلقًا، فلا إمكانيَّة لصناعة الأمل، وفي المقابل كلّما وثقت النفس في حيرة العقل فكرًا، وجد الأمل مكانًا يتربّع عليه؛ ولذلك تعد القلوب الصافية والنفوس الصافية أماكن ولادة الأمل تيسيرًا، أمّا أولئك الذين ضاقت نفوسهم حقدًا ومكرًا وكيدًا وحسدًا؛ فلا إمكانيّة لديهم تصنع أملًا وتحدث النُّقلة.

ولذا فالأمل لا تصنعه الصدف، بل القصد وحده قادر على صنعه، فَلِمَ لا نتوجّه لصنع الأمل بما أنّ غيرنا قد صنعوا آمالا؟

ولهذا فصناعة الأمل نُقلة تتطلّب:

- قبول التحدّي.
- مواجهة الصَّعاب بلا تردد.
- وضوح المأمول.
- مثابرة جادَّة.
- مكاشفة النفس.
- بذل الجهد.
- قبول دفع الثّمن.

. الاستعانة بأهل الحكمة والدراية.

. أخذ العبر من التَّاريخ.

. الدراية بما يجب قبل الإقدام على ما يجب.

وعليه:

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى يصبح أملًا يشبع رغبة مرضية، ولا تكون على حساب الغير.

. جمّع قواك العقليّة والفكريّة وخطّط بما يمكّنك من تفادي الصّعاب وأنت تعمل من أجل بلوغ المأمول وإحداث النُّقلة.

. حشّد الإمكانات وعدّ العدّة المناسبة لبلوغ المأمول.

. انزع التردّد من نفسك وتقدّم قوّة تصنع المستقبل المأمول قمّة.

. استعن بمن يمدّك قوّة تُسهم في اختصار الزّمن وتقليل الخسائر، وتسرع بحركة الإنجاز.

. اعرف أنّك كلّما أنجزت هدفًا، وجب عليك تحديد أهداف أخرى أكثر أهميّة حتى تحدث النُّقلة إلى الأفضل المرتقب.

وبما أنَّ كلّ شيء ممكن، فلِمَ لا نفكّر فيه بلا قيود؟ حتى وأن وضعت عليه القيود علّة بأيّة علّة فيجب أن تفكّ العلل مع القيود، ولكن إن لم تفكّ العلل والقيود، فعلامات الاستفهام والاستغراب وأفعال المواجهة ستكون ارتقاء في الميادين والشّمس في كبد السّماء؛ ولذلك فالاستغراب

يَحدث عندما يَحدث غير المتوقّع في الزّمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقّع، وهنا تكمن المفاجأة، التي لا تظهر إلّا بغفلة عمّا هو غير متوقّع.

وعليه فصُنع الأمل نُقلة وارتقاء يستوجب:

. دفع أفراد المجتمع إلى العمل المنتج الذي يُمكِّنهم من الوفرة التي تُسهِم في إشباع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة؛ ليعيشوا حياة تعليميّة وصحيّة واقتصاديّة مرضية.

. دفع الأفراد إلى ميادين العمل المنتج التي فيها يتمكّنون من إشباع حاجاتهم للمشرب والمأكل والملبس والتنقّل، وإلا سيظلون في عازه ممّا يجعلهم بعيدين عن محققات الرّفاهيّة الاجتماعيّة وصنع المستقبل ارتقاء بهدف بلوغ النّقلة تقدّمًا ونهضة.

. تفطين أفراد المجتمع إلى ما يؤدّي إلى إشباع الحاجات الضّرورية، وإلى ما يؤدّي من بعدها إلى إشباع الحاجات الكماليّة المتطوِّرة.

. دفع أفراد المجتمع إلى زيادة الإنتاج؛ حيث الحاجات المتطوّرة التي تبحث عن مشبعات غير ثابتة، فما كان لا يعد حاجة ضروريّة في الزّمن الماضي أصبح من الأولويَّات في هذا العصر، وهكذا هي الحاجات تتطوّر عبر العصور وستظل دائمًا على هذه المنوال ارتقاءً.

. تفطين مؤسّسات المجتمع الخدميَّة والإنتاجيَّة وهيئاته وشركاته؛ لاستيعاب أفكار العاملين والمتعلمين والاستجابة لمطالبهم المتطوّرة ورغباتهم المتنوّعة مع حركة التغير والتطوّر.

. تنظيم العلاقة بين رغبات العملاء وبين ظروفهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة، التي قد لا تمكّنهم من بلوغ مشبعات رغباتهم ما لم يستثمروا كلّ ما لديهم من طاقات مع مضاعفة الجهد المبذول تجاه محقّقاتها.

. تفطين الأفراد من انغلاقهم داخل دائرة الذّات الاجتماعيَّة إلى الانفتاح على الآخرين والتعرّف على ما يمتلكونه من منافع وعلوم وتقنية وتعلمها والأخذ بأسبابها.

. تنمية روح الطموح والتّجدّد لدي أفراد المجتمع حتى يتطلّعوا إلى صناعة المستقبل الذي يمدّهم بأسباب بناء الذّات ودخولها ميادين المنافسة والإنتاج العلمي والبناء الحضاري وصنع النُّقلة.

. ترشيد الأفراد بما يؤدّي بهم إلى تنظيم حياتهم وتقدير ظروفهم في ضوء الظّروف المحيطة والمتطوِّرة؛ ليكوِّنوا علاقات موجبة معها، حتى يتمكّنوا من مواكبة حركة التطوّر والتغيّر الإنساني في القرية الصّغيرة.

. استيعاب المتغيّرات الجديدة التي جعلت من العالم قرية صغيرة والترابط مع شبكاتها المعلوماتيّة لأخذ المزيد المعرفي من أجل تحقيق حياة إنسانيّة مرضية.

. تفطين أفراد المجتمع إلى أخذ ما هو نافع وترك ما هو غير نافع، فالقرية الصّغيرة مملوءة بالجديد النّافع والجديد غير النّافع، فيجب التمييز قبل الإقدام.

. عدم الإغفال عن حقيقة مفادها (أنَّ الحياة بطبيعتها في حالة تطوّر) فلا داعي للغفلة.

. تفطين الأفراد إلى استثمار ما لديهم من إمكانات وطاقات والتطلّع إلى ما يفيد من قِبل الآخرين حتى يتمكّنوا من العيش برفاهيّة واستجمام.

. حث أفراد المجتمع على التطلّع لأخذ المفيد للحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، والإسراع بهم إلى أخذ المزيد وتطويره.

. دفع الأفراد لمواكبة حاجاتهم المتطوّرة، وعدم التأخر عن ممارسة ما من شأنه أن يُعجّل من طي المسافات بين النقطة التي هم عليها، ومحققات النقطة قمّة.

. التأكيد على أهميّة بلوغ الجديد المفيد الذي يُعزز ثقة الأفراد بأنفسهم وبذواتهم الاجتماعيّة ويحقّق لهم أبعاد إنسانيّة في المجالات الاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيّة والذّوقيّة والثقافيّة.

ومع أنَّ النَّاس يأملون المستقبل الأجود والأفيد، ولكن القليل منهم هم الذين يحملون أعباء بلوغه، أي: إنَّ البعض يعمل على صُنعه والبعض ينتظره زمنًا، فالذي يعمل على صُنعه يأتي إليه، أمَّا أولئك المنتظرون سيظل الزّمن أمامهم مستقبلًا وهم يتمنّون؛ ولهذا فالفرق كبير بين من يأمل ويعمل على بلوغ مأموله، ومن يتمنى فيبقى في أمانيه ساكنًا.

وعليه: فالنَّاس كلّ النَّاس هم بين مأمولٍ ومتمنٍ، ولهذا فهم مختلفون وسيظلون كذلك فالذين يأملون يعملون ويسعون إلى معرفة وإنجاز المزيد، والذين يتمنون سيظلون يتمنون.

صُنع المستقبل المأمول نُقلة يؤسّس لوطن فيه المواطنون يسودون دون سيادة مظالم، الرّجل والمرأة والصّغير والكبير هم رأس مال الوطن، ممّا يجعل

ثروة الوطن ملك للجميع، والتعليم حقّ للجميع، والصّحة حقّ للجميع، والخدمات المتميّزة حقّ للجميع، والأمن حقّ للجميع، وأداء الواجبات حقّ على الجميع، وحمل المسؤوليّة عبء يحمله الجميع، وكلّ وفق قدراته واستعداداته ومهاراته وتخصّصه وتأهيله وصلاحيّاته واختصاصاته، مع تقديم أفضل رعاية للمعاقين والعجزة والمرضى وإعالة ورعاية من لا عائل لهم ولا راعٍ.

فالآمل لا يرى الحكومة والمجتمع المدني إلّا في حالة شراكة؛ فكلّ واحد ييسّر للآخر أعماله وكلّ واحد يقوم بمهمّة المراقبة على الآخر، ممّا يجعل ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي ماثلة بين يدي النّاس يمارسونها بكلّ شفافيَّة، مع وافر الرّقابة المتبادلة بين مكوّنات المجتمع المدني والحكومة التي يتمّ اختيارها خبرة ودراية ومهنة وتخصّصًا ومكانةً اجتماعيّة وإنسانيّة رائدة، وكلّ ذلك لا يتمّ إلّا تحت مظلّة الدّستور وما يتفرّع منه من قوانين ونظم مشرّعة، ولهذا لا داعي أن تضع الحكومة نفسها في كلّ مكان، فإن ارتأت ذلك، فلن تجد لها مكانًا، وإن فرضت نفسها بغير إرادة أهل الأرض سترهق أجهزتها الأمنيّة وإن كثرت.

ومن ثمّ عندما يصبح أهل الأرض (الشّعب) شركاء في إدارة الدّولة دستورًا سينتهي ذلك الدّور الأمني (الشّك في الموطنين) ويحلّ محلّه دور جديد (لا ثقة إلّا في الشّعب)، ومن ثمَّ فلن يكون دورها مطاردة المنحرفين لمعاقبتهم، بل دورها جمعهم من أجل الإصلاح، ثمّ غرس الأمل في نفوسهم من أجل مستقبلٍ أفضل فيه نُقلة إلى ما هو أعظم، وهكذا سيكون دور رجال البوليس احترام المواطنين وتقدير ظروفهم وتفهُّم أحوالهم، أي: العمل

بشكل وثيق مع المواطنين لتحسين مستويات الجماعة المحليّة والسّلوك المدني واستخدام الثّقافة والاقتناع والتشاور بدلًا من توجيه الاتّهامات بغير حقّ؛ ولذلك تسنّ القوانين التي ترشد إلى ما يجب، وتنهى وتحذِّر وتحرّم ما لا يجب، ثم تعاقب دون مظالم، ومن هنا تصبح تقويّة القانون ضرورة من أجل ممارسة الحرّيَّة وبكلّ شفافيَّة، فعندما يصبح المواطن صاحب سيادة في وطنه فلا إمكانيَّة لوجود متطرّفين ومرهبين بين الشعب؛ ذلك لأنّ عيون الشعب كلّها رقابة.

ولأجل التغيير من حالة التّعاسة إلى حالة الرّفاهيَّة ينبغي ألّا يكون التركيز على تقديم المساعدات؛ فالاستمرار في تقديمها يجعل الاتكال والاستمرار في طلبها مستمرًّا، ولهذا وجب غرس الآمال في عقول النّاس ودفعهم إلى العمل وتحفيزهم عليه.

النُّقلة ارتقاءً:

مع أنَّ مفهوم النُّقلة يشير إلى تغيير الأحوال إلى الأفضل فإنَّ مفهوم الرّفعة ارتقاء يشير إلى بلوغ قمّة التغيير الذي كان مستهدفًا؛ ولذا فالنُّقلة ارتقاءً لا تكون إلَّا عن وعي ودراية مسبقة بالإقدام على ما يجب؛ من أجل تحقيق تقدّم تجاه نهضة علميَّة وحضاريّة وإنسانيَّة بها تُغيَّر أحوال من عزموا على إحداث النُّقلة اجتماعيًّا أو وطنيًّا أو إنسانيًّا.

والنُّقلة ارتقاء لا تكون إلّا والمأمول نافع ومفيد، وأنّ الآمل لا يسعى إلّا لما يفيد، ومن هنا يوصف المأمول بالقمّة؛ فيصبح الارتقاء رفعة عن كلّ ما يؤدّي بأصحابه إلى السُفليَّة والدّونيَّة، فيؤخذ بالقيم الحميدة والفضائل

الخيرة مع وافر التقدير والاحترام للأفراد والجماعات والمجتمعات والحضارات والثقافات والأديان، كما أنّه يمكّن من التوافق والاندماج الذي فيه الإنسان قيمة في ذاته؛ فلا يهان ولا يقلّل من شأنه، ولا يحرم من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمْل مسؤولياته. والنُّقلة ارتقاء قد تكون بأسباب العلم والثّقافة وحسن المعرفة، وقد تكون نتاج التربية وتهذيب السُّلوك، وقد تكون بأسباب مقصودة وفقًا لفرضيَّات منبثقة من أهداف واضحة ومحدّدة وقابلة للإنجاز.

والنُّقلة ارتقاء هي التي فيها تُتّبع أساليب الاحترام والتقدير والاعتبار والتّفهم، وهي التي بها يتمّ الإنجاز أو الإنتاج دون أن يسود استغلال للجهد الذي به أنجز العمل أو أنتج.

ولأنّ النُّقلة ارتقاء ووعيًا لا تكون إلَّا عن دراية فبلوغها دائمًا في دائرة الممكن ميسّرًا، ومن هنا ينتقل المستهلكين من خانة الاستهلاك الذي يشكل عبء على كاهل الآخرين إلى خانة المنتجين والمبدعين ومتحدّي الصّعاب بدون كلل ولا ملل.

إذن: النُّقلة ارتقاء تستوجب عملًا وجهدًا يبذل مع خالص النيّة، أي: لا أمل ولا عمل ولا إنتاج إلّا والجهد يبذل، والجهد هنا قد يكون فكريًّا وقد يكون عضليًّا، وقد يكون فنيًّا ولوجستيًّا (خبرة ومهارة)، وهذه من مجوِّدات العمل نُقلة وارتقاء؛ فلا ينبغي الإغفال عنها وعن أهميّتها وعن أدوار أصحابها، أي: يجب أن تقدّر تقديرًا عاليًا من حيث الحوافز والدّوافع

وكلّ ما من شأنه أن يشجّع على المزيد أو يشجّع آخرين ليلتحقوا بخانة الآملين بغاية إحداث النُّقلة ارتقاء.

ومن ثمّ، فالأمل نُقلة وارتقاء يستوجب دراية ومعرفة واعية، المعرفة بما يجب ويتّبع، وما لا يجب ليجنّب أو يبتعد عنه، مع معرفة وافية بقوانين وتشريعات العمل، والمهنة والوظيفة، وحمْل المسؤوليّة، حتى وإن كانت عبئًا جسيمًا؛ كونها تمكّن من بلوغ النُّقلة.

وعليه:

. الأمل ولنُّقلة ارتقاءً لا يكونان إلّا عن وعي.

. النُّقلة ارتقاء لا تكون إلّا والعمل جودة لا تفارقه.

. النُّقلة ارتقاء تحقّق الرّفعة الذّوقيّة والخلقيّة والماديَّة.

. الأمل ارتقاء يُحدث النُقلة إلى الأجود والأنفع والأفيد.

. الأمل ارتقاء حقّ لا ينبغي التنازل عنه، بل التمسّك به منقذ من التخلف وميسّر لإحداث النُّقلة نهضة.

. العمل ارتقاء حُسن تدبّر ينبغي الأخذ به بغرض تحقيق النُّقلة.

. النُّقلة ارتقاء لا تكون إلّا نتاج تفكّر فيما يجب وأدائه وفقًا لما يجب.

. النُّقلة ارتقاء تجاوز للكسل والاتكاليّة والطّمع واعتماد على المقدرة في دائرة الممكن تحدٍّ.

. الأمل ارتقاء تحدّي صعاب يُمكِّن من النُّقلة.

. النُّقلة ارتقاء تجاوز للمألوف، وتجاوز للرتابة المميتة، ووعي بما يجب أن يتم الاقدام عليه؛ كونه المحقق للنُّقلة وعيًا ودراية.

. النُّقلة ارتقاء صنع مستوى قيمي رفيع.

. النُّقلة ارتقاء انفتاح موضوعي واستيعاب للأفضل والأجود مع الاقدام على ما من شأنه أن ييسر سبل تجاوزه إلى ما هو أعظم وأنفع.

ولذا فالنُّقلة ارتقاء فيها رفعة شأن وتقدّم تجاه ما هو أفضل وأجود وأنفع، ولكنّها لا تكون إلّا ببذل الجهد وعن دراية مع سابق تخطيط وفقًا للإمكانات الممكنة، ومن ثمّ فلا إمكانيّة للتقدّم ما لم تتوافر معطياته من بحث علمي وأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيّرة مع طموح وغايات من ورائها نيل المأمولات العظيمة.

فالكلمةُ الأمل مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاء (بناء وإصلاحًا وإعمارا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيء، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعًا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذًا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل نُقلة؛ فَلِمَ لا يُقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم وبين المتقدِّمين الذين ارتقوا علمًا وتقنية وحُسن إدارة؟

ولأنّ الأمل ارتقاء لا يكون إلّا عملًا؛ فينبغي على من يرغب ارتقاء أن يُقدِم على العمل النّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته لتكون منافسة لمنتجات الغير؛ ذلك لأنَّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانًا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إن لم تَقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع النّادمين ندم.

ومن هنا فالنُّقلة ارتقاء تجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة؛ ولذا فمن رغب مكانة ويأمل تبوئها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل؛ لتكون المكانة بينهم فرديّة وجماعيّة وإنسانيَّة؛ فعلى سبيل المثال: جميع الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام عملوا وحرّضوا النَّاس على العمل: {وَقُلِ اعملوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[7].

فهكذا هم الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام أُرسلوا للنَّاس من أجل الهداية والعمل نُقلةً وارتقاءً؛ فكانت القيم الحميدة والفضائل الخيّرة جنبًا إلى جنبٍ مع الإصلاح والبناء والإعمار ارتقاء عبر التّاريخ، وكانت الآمال لا تفارق عقول النّاس، فذلك الإنسان الأوّل (آدم) عليه السَّلام الذي خُلق في الجنّة رأى الارتقاء بأمّ عينه، بل عاش الارتقاء حياة نعيم، ولكن بأسباب المخالفة والمعصية ارتكب خطأ فأخرج به هبوطًا من الجنّة إلى

[7] التوبة 105.

الحياة الدّنيا، والتي من بعدها أصبح واضعًا نصب عينيه أمل العودة إلى تلك الجنّة التي ضاعت من بين يديه وهو يتحسّر، بما أقدم عليه شهوة وإرادة، حتى وإن كان بأسباب الإغواء، ولكن بعد أن استغفر ربّه، ظل يعمل من أجل العودة إلى ذلك العيش الرّغد الذي حُرم منه بما ارتكبه من فعل منهي عنه، ومع ذلك ساد الصّراع بين النّاس إلى يومنا هذا (بين من صدّق الرّسل ومن كذّبهم)؛ فمن صدّق الرُّسُل يأمل كما أمِلَ الإنسان الأوّل الارتقاء إلى الجنّة التي عاشها حياة فردوس، ومن لم يصدّق؛ فلا يرى جنّة، وهنا تكمن العلّة.

وهكذا فالإنسان النُّقلة لم يقف عند ما يأمله، بل بالعمل تجاوز الصعاب، حتى صعد إلى القمر الذي كان يعتقد أنَّه الجنّة، ثم تجاوز القمر كونه لم يكن كذلك، فغزى الفضاء اكتشافًا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا إحداث النُّقلة الممكّنة من بلوغ الجنّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، ومن أخذ بها ارتقاء أخذ بما يجب الأخذ به نُقلة، ومن لم يأخذ بها؛ فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة المزيد نُقلة من بعد نُقلة.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، فإنَّه لم يحافظ على ارتقائه فأُهبط به من علوٍ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، بل ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه ارتقاء.

فالإنسان لو لم يكن مؤهّلًا للارتقاء، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء نُقلة وهو يأمل في المزيد ارتقاء ونُقلة، ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل المتطوّر تصبح ضاغطة عليه ألما شديدًا؛ فعليه بالعمل وتحدّي الصّعاب، ولا يخشى شيئا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة.

ولهذا فما بلغه الإنسان من ارتقاء علمي وثقافي وحضاري يؤسّس قاعدة عريضة للمزيد المعرفي الممكّن من الإصلاح والبناء وقبول التحدّي من أجل الأفضل والأفيد والأنفع والأرقى، ومن أراد أن يرتقي إلى المأمولات العظام فلا إمكانيّة له إلّا بذل الجهد والعمل الذي له من الأهداف ما له وله من الأغراض ما له ومن وراء كلّ ذلك غايات تُبلغ ومأمولات يتمّ نيلها أو الفوز بها، ولهذا فالارتقاء عملا يحقّق:

- النُّقلة.
- الرّفعة.
- تبوء المكانة.
- القدوة الحسنة.
- الاعتماد على الذّات.
- بلوغ الغايات.
- نيل المأمولات.

ولأنَّ الأمل ارتقاء لا سقف له، فإذن: لا تجعل من مستوى الجودة الذي بلغته مظلة لتجلس تحت ظلّها وكأنّها الغاية، بل عليك أن تعرف أنَّ الجودة درجات سُلم يتمّ الصّعود عليها، ولا يتمّ الصعود إليها؛ ذلك لأنّ الوسيلة ليست الغاية ولا المأمول، ولأنَّ السّلم وسيلة فلا تقف عنده وكأنَّه المهم الذي لا شيء مهم من بعده.

وعليه: فعليك بالعمل، فالعمل الصّالح كما يرضي القائمين به جهدًا مبذولًا يرضي الله، ولكلّ جزاؤه: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[8]. أي: لكلٍّ حسابه؛ ولذا فللعمل الرّاقي حسابه، وللعمل الواطي حسابه.

النُّقلةُ تحدٍّ:

مع أنَّ النُّقلة صعود من المستويات الدُّنيا إلى المستويات العليا فإنَّ النُّقلة تحدٍّ لا تكون إلَّا عن عزيمة وإصرار مع صبر على مغالبة الصّعاب؛ إذ لا توقّف حتى تقهر؛ ولذا فالنُّقلة تحدٍّ هي الحيويّة التي بها يتمّ تجاوز الصِّعاب وإن عظمت، والصّعاب هي تلك الأعمال التي تستوجب مزيدًا من الجهد دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يأمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرًا وعملًا مع مزيدٍ من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف، أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات ونيل المأمولات، أو الفوز بها نُقلة.

[8] الزلزلة 7، 8.

إذن: فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لا بدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، فإنَّه لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدَّي الصِّعاب).

أمّا الاستثناء: (الاستسلام إليها).

ولأنَّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر والأمل لا يفارقه، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه أملًا؛ ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر؛ فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

وعليه: فمن تهيّأ واستعد لتحدي الصّعاب والمأمول لا يفارقه لا يمكن أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار من أجل النُّقلة ونيل المأمولات المترتّبة على بلوغها؛ ولذا فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، والتهيّؤ للعمل المنتج يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب، ومن ثمّ فالتهيؤ لبلوغ المأمول يؤدّي إلى نيله نُقلة.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، فإنَّه بلا استعداد وبلا تهيؤ لا إمكانية لنيلهِ مأمول ونُقلة؛ ولذلك فإنّ غياب الأمل يغيّب كلّ من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانيّة لتحدي الصّعاب؛ أي: لا تحدّ بلا أمل وإرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ المأمول والفوز به نُقلة.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصّعاب أملًا ونُقلةً فعليك بالآتي:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع، حتى وإن كان صعبًا.

. تأكّد أنَّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيا رغبة وإرادة وإعداد عدّة.

. اصّمد فالصّعب لا يصمد، وعليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر، ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها؛ ولذا فلا يمكنك أن تهزم خصمًا وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية، وعندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك

ويحترمك ويعترف بك مساويًا له على كفّة العدالة: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[9].

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض أفضل من البعض، أي: دائمًا أصحاب الآمال العريضة والواعون والصّابرون والمؤمنون يواجهون التحدي بتحدٍّ.

. أقبل بدفع الثَّمن جهدًا ووقتًا وإمكانات تنال أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدّى الخوف الذي يقنعك كسلًا، أو يخالجك جبنًا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد، وفي المقابل إن استسلمت فستجد نفسك متسوّلا مع المتسوّلين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحدِّيًا، وأهّب نفسك لمواجهة الصّعاب تجد الصّعاب مستسلمة.

ولذلك فالغاية بعد معرفة الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ الأمل رفعة، وعيش النّعيم، وهذه مع أنَّها غايات، فإنَّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيَّؤون لها، ويستعدّون إليها، ويتأهّبون لتحدّي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون

[9] الأحزاب 25.

حتى يبلغوا الغايات، ومن بعدها نيل المأمول وإحداث النُّقلة. ولكن وفقًا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) كلّ شيء قابل لأن يتغير كلّما توافرت معطياته أو اشتراطاته.

ولذلك تتماثل دائرة الثابت والمهتز مع دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، من حيث: إن 50% من الدّائرة هو ثابت أو متوقّع، وإنّ 50% من الدّائرة هو المهتز أو غير المتوقّع، وهذا يعني: أنَّ النسبي سيكون بين موجبٍ وسالبٍ، أي: أنَّ الثّابت والمهتز كلّ منهما معرّض لأن يكون سلبيًّا أو إيجابيًّا، أو أن يكون نتاج الأعمال السَّالبة أو الموجبة، ولهذا تتداخل الحركة مع السّكون، ويتداخل السّكون مع الحركة من أجل التغيير وإحداث النُّقلة.

وعليه: لو لم يكن الثبات نسبيًّا، ما تغيّرنا وما تغيّرت أحوالنا، ولو لم يكن الاهتزاز نسبيًّا ما أُصلحت أحوال المنحرفين، ولما تمكّن الأخصائيّون الاجتماعيّون والنفسيّون من إعادتهم للقاعدة (الإنسان قوّة)، ومن هنا فيجب أن يكون الإنسان على القوّة ويقبل تحدّي الصّعاب من أجل بلوغ المأمول ونيله، ولا استغراب؛ إذ (كلّ شيء ممكن).

ولذلك فتَوافر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقّع يُسهِّل من عمليات التحصيل والإنجاز، ويُسرّع من عمليات الإقدام ويحقّق نجاحًا رائعًا، أمّا في دائرة الممكن غير المتوقّع فقد لا يحقّق ذلك؛ فعلى سبيل المثال: الشّاب الذي ذّهب إلى أحد حكماء الصّين ليتعلَّم منه سرّ النّجاح وسأله "هل تستطيع أن تذكر لي ما هو سرّ النجاح؟ فرد عليه الحكيم الصّيني قائلًا: "سرّ النّجاح هو الدّوافع" فسأله الشّاب: ومن أين تأتي هذه الدّوافع؟ فردَّ

عليه الحكيم "من رغباتك المشتعلة"، وباستغراب سأله: وكيف تكون عندنا رغبات مشتعلة؟ وهنا استأذن: الحكيم الصّيني لعدّة دقائق وعاد ومعه وعاء كبير ملئ بالماء وطلب من الشّاب أن يقترب من وعاء الماء وينظر فيه، فنظر الشّاب إلى الماء عن قرب وفجأة ضغط الحكيم بكلتا يديه على رأس الشّاب ووضعها داخل وعاء الماء ومرّت عدّة ثوانٍ بدأ الشّاب يشعر بالاختناق، وبدأ يقاوم بشدّة حتى نجح في تخليص نفسه وإخراج رأسه من الماء، ثم نظر إلى الحكيم وسأله بغضب: ما هذا الذي فعلته؟ فرد عليه: ما الذي تعلمته من التجربة؟ فقال الشاب: لم أتعلّم شيئًا.

قال الحكيم: لا يا بني لقد تعلمت الكثير؛ ففي الثّواني الأولى أردت أن تُخلِّص نفسك من الماء، ولكن دوافعك لم تكن كافية لعمل ذلك، وبعد ذلك كنت دائمًا راغبا في تخليص نفسك فبدأت في التحرُّك والمقاومة ولكن ببطء حيث إنَّ دوافعك لم تكن قد وصلت بعد لأعلى درجاتها، وأخيرًا أصبح عندك الرّغبة المشتعلة لتخليص نفسك وعندئذ فقد نجحت.

ومن هنا وجب غرس الثّقة في أنفسنا ثمّ استمداد القوّة منها إن أردنا بلوغ المأمول نُقلة، وإلّا سنكون ضعفاء ولا شيء لدينا إلّا الأمنيات التي لا يمكن أن تصنع لنا مستقبلًا، ولهذا لا ينبغي أن نغفل عن:

- تهيئة الاستعدادات النفسيّة والبدنيّة والماليّة لما هو متوقّع ومأمول ولما هو غير متوقّع حتى لا تحدث المفاجئة.

- غرس الثّقة في النّفس، حتى يتم التمكّن من تحدي الصّعاب.

. تحديد الأدوار الواجب لعبها؛ لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المجتمع أو مؤسّساته أو هيئاته وجمعياته.

. غرس الثّقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعيّة الموجبة.

. غرس الثّقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعّالة في إعداد البرامج والمشاركة في تنفيذها والقيام بها.

. تنمية قدرات أفراد الشعب كلّه وغرس الثقة بينهم؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والنفسيّة والذوقيّة وفقا للخطط والاستراتيجيّات المرسومة والمرجّوة نُقلة.

. تهيئة استعداد الأفراد والجماعات لما يجب والتطلّع بهم إلى ما يُحدث النُّقلة إلى ما يفيد وينفع ويخلّص من الآلام والتأزُّمات.

. غرس الثّقة في أفراد الشَّعب من خلال مؤسّسات الدّولة، دون الإغفال عن مشاورتهم فيما يتعلّق بهم من أمر، وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلعون إليه نُقلة.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعات أصحاب الحاجات الخصّة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم مع دراسة حالاتهم وتوظيفهم كونهم مفردة من مفردات المجتمع المستهدف صُنع مستقبله.

. تقوية الإمكانات المادّية وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوّر والتقدّم واستثمارها فيما يفيد.

. تحفيز أفراد الشّعب على المشاركة الفعّالة، ودفع مؤسّسات الدّولة إلى الإقدام على ما يفيد وينفع خدمة وإنتاجًا.

. استثمار الإمكانات البشريَّة والمادّية في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئة.

. إشعار أفراد المجتمع بأهميّة المشاركة الاجتماعيّة في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

. حث الأفراد على الاستفادة من الإمكانات المتاحة والبحث عن إمكانات أخرى أو إمكانات بديلة في حالة نقص الإمكانات أو شُحّها، واستثمار ما يتوفّر منها إلى أقصى درجة ممكنة، تحقيقا لعمليات التغيير الموجب.

. تأكيد أهميَّة المشاركة ودورها في بناء الثّقة بتحريض الأفراد على ممارستها من أجل تأكيد منطق (النّحن) المستوعب للأنا والآخر، حتى تتضاعف القوّة ويزداد العطاء وتعم المكاسب ويتم نيل المأمولات نُقلة.

. دفع الأفراد والجماعات وهيئات ومؤسّسات الدّولة إلى استيعاب الجديد والعمل على تطويره.

. الإصرار والتصميم على إزالة الشّكوك والمخاوف وكلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق بأمل يحفّزه ويدفعه إلى المشاركة في صناعة المستقبل.

. تمكّين الأفراد من إدارة شؤون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيّ إكراه أو إجبار وغرس الثّقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من أمر مع إرشادهم لِما يفيد عمليات الاستثمار للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك.

إذن: الارتقاء قيمة مرغوبة لا يُبلغ إلّا بجهد يبذل، وهو القيمة التي لا تجعل للإحباط والانطواء والانكفاء مكانًا ليستقر فيه، ترفضه الإرادة والرّغبة والتحدّي والإصرار؛ ولذلك فالحياة بدون أمل محفّز على الارتقاء لا تكون إلّا مللًا؛ ولذا فاصنع لنفسك أملا يخرجك من التأزّمات، واعلم أنَّ الذين صنعوا لأنفسهم آمال ارتقوا حتى بلغوا القمم علما ومعرفة وتقدّما وحضارة.

إذن: الارتقاء قيمة تفضيليَّة خصّ الله بها الإنسان خَلقًا وخُلقًا؛ وهو الذي في خَلقه كان في أحسن تقويم، أمّا في خُلقه فينبغي عليه أن يكون على الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي أمر بها الخالق: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[10].

نلاحظ في هذه الآية الفرق الكبير بين تلك الزّواحف مكبّة الأوجه، ومن يمشي سويًّا (مقوّمًا)؛ ذلك هو أمر الخالق فلا يتبدّل، أمَّا المتبدّل فهي الأخلاق التي هي بيد المخلوق فإن شاء ارتقاء كان بها راقيًا، وإن لم يشاء تصبح أخلاقه مكبّة.

[10] الملك 22.

ولذا فلا إمكانيَّة لتلك المخلوقات أن تتطوَّر وترتقي كما يظنّ البعض لتصبح غير زاحفة، أو غير مكبّة الأوجه، وفي المقابل يمكن للإنسان الذي يمشي سويًّا أن ينحدر خُلقًا؛ فيضل ويظلم ويعتدي بغير حقّ، ومع ذلك فلن ينحدر خَلقًا.

وهذا ما حصل مع الإنسان الأوّل (آدم) الذي خُلق في أحسن تقويم، ولم يُخلق على الكمال، إنَّه الإنسان بين التسيير والتخيير، وبين هذا وذاك يستغفر فيتاب عليه، ومن ثمّ فمخالفة أبينا آدم هي مخالفة تخييريّة ذات علاقة بالإرادة والرّغبة والشّهوة، وهذه مكامن العلل والضّعف النّفسي التي تجرّ لما لا ينبغي (للمخالفة) كما تجرّ لما ينبغي (الطّاعة والاتباع)؛ ولذلك فحسن التقويم لا يتغيّر، أمّا حُسن الأخلاق في دائرة الممكن يتغيّر بين سُفليّة وارتقاء، ولهذا يصبح الإنسان في حاجة لنُقلة تخرجه من التأزّمات وترتقي به قيمة وفضيلة.

ولأنَّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع رُقيًّا، إذن: فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب ألَّا يصحّح ولا يقوّم، كما صحّحه أبونا آدم وقوّمه ساعة حدوثه، وساعة أن كشف علله: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[11]؛ ذلك لأنَّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق، ولا تتعلق بالخَلق الذي لا يتبدّل.

[11] البقرة 37.

ففي دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع لا بدّ وأن يقع الإنسان في الخطأ، أمّا الاستثناء في دائرة الممكن ألا يُصححه، ولهذا أخذ أبونا آدم بالقاعدة: وهي متى ما وقع الخطأ وجب التصحيح الذي يوجب تصحيح المعلومات الخاطئة بالمعلومات الصّائبة حتى حدوث النُّقلة وتتحقق الرّفعة.

وعليه:

فالارتقاء قيمة خُلِقَ الإنسان عليها من طين الجنّة عندما كانت الأرض مرتقة في السّماوات: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[12]، ولأنَّ الإنسان الأوّل خُلق من تراب الأرض المرتقة في السّماء جنّة، كان خلقه في أحسن تقويم: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[13].

ولذا فأساس خلق الإنسان التقويم الحسن دلالة ومعنى وصورة، أمَّا الاستثناء ألَّا يحافظ الإنسان على حُسن التقويم الذي خُلق عليه خلقًا، وهذا ما حدث مع أبينا آدم عندما لم يأخذ بما أُمِرَ به وهو: ألَّا يأكلّ من تلك الشّجرة: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[14].

---

[12] الأنبياء 30.

[13] التين 4.

[14] البقرة 35، 36.

ومن هنا، جاء انحدار أبينا آدم عوضًا عن الارتقاء الذي خُلق عليه خلقا: (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)؛ حيث الهبوط على الأرض التي فُتقت من السّماوات فأصبحت أرضًا دنيا إذا ما قورنت بما بقي في علوٍ (في السّماء). ولكن آدم عليه السّلام خُلق على حُسن التقويم فتدارك أمره؛ فاستغفر ربّه؛ فتاب عليه: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[15]؛ ولهذا فقد استثنى آدم من الوجود السُفلي كونه تاب الله عليه بسبب استغفاره ورُقي إيمانه نُقلة عظيمة، (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا).

وعليه:

. كلّما تكتشف أنّك على شيء من الخطأ؛ فاعرف أنَّ معلومات خاطئة قد علقت بك؛ فتخلّص منها وصحّح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة ولا تتردّد.

. الخُلق وحده يمكّنك من الصّمود الموجب، وانعدامه يجعلك في سُفليّة ودونيَّة؛ فعليك بالخُلق ولا تفارق.

. الأخلاق تجعلك على الارتقاء وتمكّنك من بلوغ ما هو أكثر نُقلة ورُقيّا ورفعة ونهضة.

. ثق في نفسك إن أردت التحدّي، ولا تلتفت لمن يريد إغواؤك عثرة من بعد عثرة.

---

[15] البقرة 37.

. اعمل والأمل لا يفارقك؛ فالإنسان بلا أمل لا فرق بينه وبين من خُلق في دونيّة، أو أصبح عليها.

. ضع الدّروس نصب عينيك، ولا تنسى ذلك الدّرس الذي تركه لنا أبونا آدم عليه السّلام، فهو بعد أن عصى ربّه بأسباب الأكل من المنهي عنه، عرف أنَّ ما يُنهى عنه لا يكون إلّا مخالفًا للفطرة الخلقيّة (في غير مرضاة الخالق)، أي: إنَّ المنهي عنه لا يكون إلّا لضررٍ ودونيَّة، سواء أكان نفسيًّا، أم صحيًّا، أم خُلقيًّا؛ فآدم بعد أن أكل من تلك الشّجرة المنهي عن الأكل من ثمارها ندم وتألّم، وظلّ على ما ألمّ به من ندمٍ وألمٍ حتّى غفر الله له ذنبه، ومع ذلك صدر عليه حكم الهبوط من الجنّة ارتقاء، إلى الحياة الدُّنيا على الأرض الدُّنيا.

ولأنَّ الآمال هي ما يحتويها الزّمن كلّه فلا تقصر آمالك على المستقبل وحده، فهناك من الآمال ما قد أنجز، ممّا يستوجب الأخذ به عبرة وموعظة، أو العودة إليه كنز لا يفنى.

وعندما تتاح لك فرص الاختيار فلا تتسرّع، وكذلك لا ينبغي أن تتأخر فلكلّ حسابه، فلا تغفل.

وعليك أن تعرف أنَّ زمن تحديد الأهداف ليس زمن حصاد نتائجها، فزمنها زمن الزراعة والبدر؛ ولذلك فالنّاس يحدّدون أهدافهم، ثمّ يعملون على إنجازها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنَّ الزّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام، وهذا يعني: أنَّ زمن تحديد الأهداف لم يكن هو زمن إنجازها ولا تحقيق الغاية التي من ورائها، مع أنَّ الزّمن الذي

حُدّدت فيه قد أصبح ماضٍ، وهو في ذات الوقت بالنّسبة لإنجازها أو بلوغها لا يعدّ إلّا مستقبلًا، وهكذا يتعاقب الزّمن والنُّقل على أيدي صُنَّاعها تتعاقب نُقلة من بعد نُقلة.

النُّقلةُ نيل مأمول:

مع أنَّ النُّقلة لا تكون إلَّا والأمل رفعة لا يفارق، وأن المستقبل المرتقب أكثر ارتقاء، فإنَّ النُّقلة نيل مأمول لا تكون إلَّا على الأرض واقع؛ ولذا فالنُّقلة ليس غاية في ذاتها، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول ثم نيله، والآمال هي المرجوة بلوغًا ثم نيلًا، سواء أكانت بحثًا علميًّا أم عملا أو أيّ مقصد من المقاصد المعلومة، ولهذا تحدد لها الأهداف لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا أو معرفةً أو بناءً وإعمارًا وصناعةً مستقبلً، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافًا وخلافًا لن ينتهي بين البُناة أملًا، والهادمين له انحدارًا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافًا مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاء، وآمال رفيعة يتم نيلها وإحداث النُّقلة.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب

أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي أن تحدّد الأهداف وفقًا لأملٍ مشترك يجمع شمل المتفرّقين خِصامًا، ويحلّ تأزُّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلًا وارتقاءً.

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة؛ حيث لا أمل، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاء، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة؛ فالأمل الرّفيع يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر عمل وأنتج، ومتى ما فكّر حدّد أهدافًا من ورائها أغراضًا، والغاية من ورائها القمّة مأمولة نُقلة.

وعليه:

إنّ تحديد الآمال مثل تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعيّة، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهميّة الموضوع أو القضية التي يأملونها ويضحّون من أجلها؛ ولهذا:

وضوح الأمل يؤدّي إلى وضوح الرّؤية.

. غموض الأمل لا يؤدّي إلى بلوغ المرضي.

. تحديد الأمل يمكّن من التدبّر ويحدث النُّقلة.

. ولّد في نفسك وعقلك أملًا من ورائه مأمولات تمكّن من بلوغ النُّقلة رفعة وقمّة.

. تبيّن أملك قبل الإقدام على العمل الممكن من نيله.

. ثق أنّ الآمال تُنال؛ فلا تتأخّر عن العمل الممكن منها نُقلة.

وإذا أراد بنو آدم عدم الجلوس على أرصفة البطالة والمتسوّلين؛ فعليهم بصناعة الأمل وتوليد الآمال منه، ثمّ وجب عليهم حُسن التدبّر مع أخذ الحيطة والحذر؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول نُقلة من بعدها نُقلة.

وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرًا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يُمكّن المتسوّلين من صنع الأمل والمشاركة في العمل المنتج، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، وتحقيق الأغراض الرّفيعة، وبلوغ الغايات العظيمة، ونيل المأمولات قمّة وإحداث النُّقلة ثقافة وعلمًا ووعيًا.

ولهذا فالآمال ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلما ومعرفة وإنتاجًا وحرفة، ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيَّات على أي مستوى من المستويات الفرديّة والجماعيّة والمجتمعيّة وأيّ مستوى من المستويات السياسيّة والاقتصاديّة والمعرفيّة ما لم تحدد لذلك آمال عريضة تحتوي أهداف قابلة للإنجاز ومأمولات قابلة لأن تصبح شواهد ونُقلة متحقّقة عين يقين.

وعندما تُصنع الآمال، وتحدّد الأهداف، تصبح رؤية الآملين واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من صنع آماله وتحديد أهدافه أو رؤيته أو سياسته؛ فلن يستطيع أن ينجز شيئًا يمكن أن يكون على الأهميّة المأمولة نُقلة.

وعليه:

. الآمال العظيمة ليست أمنيات الكُسالى، بل هي التي تحمل في أحشائها حيويّة تدفع تجاه نيل المأمولات الرّاقية.

. الآمال العريضة لا تُصنع إلّا من قِبل الجادّين.

. الآمال لا يقودها إلّا آمل وإن استعان بمن استعان.

. الآمال تهدي الآملين إلى مأمولاتهم وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الآمال لا تتولّد في العقول إلّا من قِبل القادرين على نيلها أو الفوز بها.

. يعد تحديد الآمال خرقًا لما كان يظن أنّه صعب المنال.

. يعد إنجاز أوّل أمل أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول تجاه بلوغ النُّقلة وعيًا ومعرفةً.

. تحديد الآمال لم يكن غاية في ذاته، بل الغاية طي الهوة بين الآمل والمأمول؛ لأنّ بلوغ الغاية وطي الهوة يفتح آفاقًا جديدة لتوليد آمال جدية لم تتولّد إلّا من بعد مأمول تمّ نيله.

ومع أنَّ في البداية تكون الصّعوبة، فإنَّ في النّهاية لا تعدّ استحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عمليّة التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تُنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ والآمال تُنال، والنُّقلة تتحقّق.

ولأجل ذلك: ينبغي أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، والأغراض وتحقيقها، والغايات وبلوغها، والمأمولات ونيها، والنُّقلة وتحقيقها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوّلا بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها، ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنَّها أهداف تحقيق الارتقاء فلا تكون ذات أهميَّة إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ومن ورائها مأمولات أعظم،

والغاية الأهم إحداث النُّقلة من أجل التقدّم قيمًا وفضائلًا؛ ولهذا لا ينبغي أن تكون أهداف الآمل غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها ما يحقق الرّفعة (نيل المأمول ارتقاء وإحداث النُّقلة).

ولهذا فإنَّ قاعدة صنع الآمال وتوليدها مؤسّسة على وجوب نيل المأمولات وإحداث النُّقلة، وإلّا لا داعي لصنعها وتوليدها؛ فكلّ ما نال بنو آدم مأمولا ينبغي أن يكون من ورائه مأمول أهم، ثمّ من ورائه مأمول أكثر أهمية، ووراء كلّ مأمول غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية مأمولة.

في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يصنع له أملًا، ولكنّه لا يعمل على نيله وكأنّ صنع الأمل هو المأمول في ذاته، وكذلك هناك من يصنع له أملًا ويعمل على إنجازه دون أن تكون له آمال عريضة من بعده، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها، ولهذا فالآمال ارتقاء: ينبغي أن يكون من ورائها أغراض تكمن من ورائها غايات عظيمة حتى إحداث النُّقلة تقدّمًا ورفعة ونهضة.

إذن: ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ أمل غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصيّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وألم، وهنا يكمن الانحدار علّة ودونيّة.

وعليه:

. إنَّ تحديد الآمال ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه نيل المأمول.

. من يحدّد آماله غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

. توليد الآمال يولّد آمالا جديدة في عقول الجادّين.

. لا يولّد الأمل من الأمل إلّا ومن ورائه غرض، ومن وراء الغرض غاية من ورائها مأمول، ولهذا فكلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية، وكلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمول يفتح آفاقًا أمام مأمول أعظم ينبغي أن يتم نيله نُقلة.

. تصنع الآمال وفقا لمتغيرات بيّنة، ولكن الآمل لا يقتصر عليها، فهناك من الآمال ما يصنع في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولذا فكلّما تمّ نيل أمل، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف آمالٍ من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهميّة، والحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاء، أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنَّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقًا لآمال يتم نيلها، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب؛ فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين أملًا وارتقاء ونُقلة مشتركة بأقل جهد.

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة، ونيل المأمول رفعة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلًا، واحترامًا، وتقديرًا، واعتبارًا، واستيعابًا، وتفهّمًا، وتدبّرًا، مع مراعاة البدء مع النّاس من حيث هم، من أجل ما يجب أن يكونوا عليه رفعة ونُقلة.

فالارتقاء معمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأمل من ورائه آمال، ولكن في المقابل هناك من يهدّم المعمار رأسًا على عقب، وهناك من يهدمه لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيًّا والهادمين له انحدارًا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم آمال قابلة لأن تنال وتحدث النُّقلة رفعة[16].

النُّقلةُ تَصنع الخوارق:

النُّقلة مفهوم غير مقيّد فمنها ما هو عظيم، ومنها ما هو أعظم، ولهذا فالخوارق تُصنع بجهود الجادّين وأهل الطموحات العظيمة، التي لا تقبل بكلمة قف أمام البحث العلمي، والتقدم التّقني والصّناعي، وما غزو الفضاء إلا بلوغ خوارق بعد صنعها نُقلة ومن بعدها نُقلة.

ولذا فالنُّقلة بحدوثها تتغيّر الأحوال إلى الأحسن والأجود والأرفع والأنفع، وبهذا فالنُّقلة التي تتحقّق تُحدث نُقلة من بعدها لمن أراد أن يتقدّم إلى ما هو أعظم، والأمل العظيم يحفّز أصحابه على تحدّي الصّعاب وتجاوز

[16] عقيل حسين عقيل، الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة: 2017م، ص 93 – 146.

الحدود وبلوغ الخوارق، ومن هنا تلد المعرفة معارف؛ ذلك لأنَّ الخوارق ولادة ما لم يكن بالحسبان، وبها يتمّ تجاوز المألوف والمحتمل في دائرة الممكن غير المتوقّع من خلال تحدّي العقل البشري للكوابح والمعيقات، وهي نتاج المقدرة الذّهنية ذات الرّؤية الثاقبة للمشاهد والملاحظ بغاية التعرّف عليه وعلى القوانين التي هو عليها، وعلى الكيفيَّة التي بها خُلق حتى التمكّن من معرفة المستحيل مستحيلًا.

فالخوارق تُصنع وتُبدع كونها على غير سابقة معروفة، فمن بلغها اختراقًا (تجاوز المألوف) وأظهر نُقلة ما كان مجهولًا أو مختفيًا لحيّز المشاهدة والملاحظة فيضيف جديدًا لميادين المعرفة الواسعة، فالخوارق لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولأنّها في دائرة الممكن فهي ستتولّد خارقة ومن بعدها خوارق، وما الاستغراب الذي يصاحبها أو المفاجئات التي تلاحق وجودها إلّا بسبب كونها لم تكن متوقّعة وغير مألوفة.

والخوارق تُصنع وتحدث النُّقلة لأنّها تأتي عن غير قاعدة مألوفة، وعن غير معتاد ولا متوقّع، ممّا يجعل علامات الاستغراب والاستفهام والتعجّب توضع عليها وعلى من اكتشفها أو جاء بها.

أمَّا الصّنع: فهو إظهار ما لم يكن ظاهرًا، أو إيجاد ما لم يكن بين اليدين موجودًا، أو إظهار الشيء الظاهر على غير ظهوره إبداعًا، أو استخراج الشيء من الشيء بطريقة أو أسلوب غير معتادٍ ولا مألوفٍ.

والصّنع هو أن يتمّ الإتيان بما لم يسبق لأحدٍ قد أتي به، وهو نتاج التفكير المفتوح حيث لا سقف يحدّه ولا موانع تكبحه؛ أمّا الخارقة فهي

بلوغ ما لم يكن متوقّعًا، والخوارق أعمال غير معجزة، أي: إنّها الممكِنة، ولكنّها غير عامّة؛ فهي تحتاج إلى مقدرة عقليّة تتجاوز ما يمكن تدبّره إلى ما يمكن بلوغه كونه لم يكن مستحيلًا ولا معجزًا، والخارقة تقود أصحابها فكرًا إلى الإبداع الممكّن من معرفة ما كان مستغربًا مع أنَّ آمله غير ذلك، كونه قد صاغ له تساؤلات وإن كانت بالنسبة إليه على غير عادة.

ومن ثمّ فالأمل تحدٍّ يقود إلى العمل المبدع، والعمل المبدع بداية قد يصفه البعض بالمستحيل بالرّغم من تحقّقه مشاهدة وملاحظة؛ فالهبوط على القمر البعض كذّبه بداية، ولكنّه لم يصمد في تكذيبه، لكونه أصبح حقيقة لا تُخفى.

ومن ثمّ فالصّعود إلى القمر يعد عملًا من أعمال الخوارق التي بإمكان العقل البشري أن يبلغ ما هو أعظم منه، فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المحقّق للخوارق وفقًا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا استغراب ولا مفاجأة، بل الاستغراب ألا يرتقي عقل الإنسان إلى اقتناص الفكرة الممكّنة من الارتقاء وبلوغ الخوارق أملًا.

وهنا، أقول:

الجنّة بين أيديكم فاعملوا يا بني آدم من أجلها، فاغزوا الفضاء بكلّ الخوارق التي بإمكانكم العمل عليها والعمل بها؛ فبلوغ الجنّة غير مستحيل، بل المستحيل أن لا تعملوا ارتقاء من أجل بلوغها مأمولة.

وهنا لا أقول مواعظ، بل لِمَ لا نتعظ، ونتدبّر أمرنا، حتى نتمكّن من بلوغ الخوارق ارتقاء؟ ومن يرى غير ذلك فكأنّه لم يُخلق بصيرًا، وليس له

من الحواس ما يمكّنه من خَلق الخوارق وتجاوزها بخوارق أكثر ارتقاء، ومن يغفل عن ذلك فكأنّه قد غفل عمّا بنته الحواس وما ستبنيه من حضارات؛ ولذلك فالتذكّر يربط العقل بما أنجزته أيدي النَّاس، وبما غفلت عنه، ليتدبّر حاضره، ويفكّر في مستقبل يستوجب رسم الخطط الممكّنة من الخوارق في دائرة الممكن.

وعليه: فالإنسان مؤهّل للارتقاء أملًا وحسًّا فهو يتذكّر؛ ليتّعظ ويُصلح، ويتدبّر ليبني وينتج، ويفكّر لإيجاد خارقة بها يصنع مستقبلًا راقيًّا، يَرتق الأرض بالسّماء.

ومَن أراد أن يكون له شأن فليعمل على تحقيق المكانة قيما وفضائل، وإذا أراد أن يرتقي قيمًا وفضائل؛ فليأخذ بمفاتيح العلم ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه مأمولًا.

فالارتقاء حركة دؤوبة يتحقّق عبر التّاريخ بالجهد المبدع والعمل المتّصل، الذي منه تؤخذ العبر، وتستمدّ المواعظ، وتنقل التجارب النّاجحة شواهد وهو لا يحدث فجأة؛ فهو مثل الوليد يولد وهو في حاجة للرّعاية والعناية، ثمّ يكتسب قوّة تدفعه إلى تحقيق ما هو مأمول أعظم، وهو كالبناء بدايته وضع حجرة على الأرض، ثمّ يصبح صرحًا شامخًا وكأنّه يريد أن يفتق الأرض بالسّماء، فهكذا هو الارتقاء تطلّعا يجسّد الأمل والطّموح، ويمكّن من بناء حضارات أهلها يسودون ثمّ يفنون، وتبقى الحضارة تاريخًا متكئًا على الارتقاء علمًا وفكرًا وقيمًا وفنًّا وثقافةً وأدبًا وإعمارًا وبناءً.

ولأنَّ التَّاريخ البشري مليء بالتّجارب النّاجعة، والفاشلة، فهو قد مرّ بنشوء حضارات سادت ثمّ بادت وحلّت محلّها حضارات أخرى ففي تلك الأحقاب سادت حضارة عاد وثمود، ومن بعدها حضارات الغرب، وحضارة الفرس، وحضارة الإسلام والعرب، واليوم حضارات الشّعوب تتداخل لتسود القرية الصّغيرة؛ فهي بالرّغم من تنوّعها وكأنّها حضارة أمّة واحدة، إنّها تقدّر الخصوصيّة، وتُمكّن من الاندماج علمًا ومعرفةً، وتقنية وإعمارًا، وتؤكّد قيمة الإنسان في ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسؤوليَّاته وبكلّ شفافيَّة.

ومع ذلك فالإنسان دائمًا في حاجة للارتقاء؛ فهو يسعى من أجل حياة أكثر أمنًا، وأكثر نعيمًا، وأكثر عدلًا، وأكثر رفاهيَّة ورقيًّا؛ فقيمة الإنسان تستوجب تقديرًا عاليًا، ورعاية صحيَّة متقدّمة، وتعليمًا يخلّص من أيّ تأزمات تحدث، ونُظم تُمكّن من التمدّد بكلّ حرّية دون أن يحدث أيّ تماسّ مع تمدّد المختلفين داخل حدودهم بكلّ حرّيَّة.

ولذلك فالاختلاف لن ينقطع بين النَّاس بما أنَّ هناك من يرى القيم والفضائل أساس العمل والتقدّم والارتقاء، ومن يراها لا تزيد عن كونها قيودًا ينبغي أن تزال متى ما تعارضت مع المصلحة الخاصّة، ومع وجود الاختلاف، فلا وجود لما يعيق ولادة الخوارق، بل الاختلاف هو المحفّز تحدٍ ومنافسة على ولادة المزيد من الخوارق تحدّ لكلّ الصّعاب.

ومن ثمّ فالأمل في بعض الأحيان يتمركز على (الأنا) أنا ومن بعدي الطّوفان، وهنا تكمن العلّة، وحتى لا تكون الأنانيَّة القاتلة؛ فعلينا بتضافر

الجهود والنّهوض سويّة حتى نقضي على عوامل الشّد والتخلّف ونرتقي تقدّما ونهضة من بعدها نهوض مع أملٍ ناهض.

وحتى لا تكون العلّة نهاية المطاف فينبغي بلوغ الحلّ الذي يحتوي في مضمونه قبول الآخر (هو كما هو)، والعمل معه (من حيث هو)، من أجل الارتقاء سويًّا إلى مستقبل مأمول، فالفرد وإن خُلق فردا، فهو لم يُخلق وحيدًا، ولهذا لا ينبغي أن يفكّر وحيدا، ولا ينبغي أن يعيش وحيدًا، بل ينبغي أن يفكّر حتى يعرف كيف يفكّر جماعيا، وأن يعمل مع الآخرين ارتقاء بغاية ما يجب.

ولكي يتمكّن الإنسان من اتخاذ قراره عن وعي؛ فعليه بمعرفة العلاقة التي تربط قوّة قراره بقوّة اتخاذه؛ فقوّة القرار تكمن فيما يحقّقه من فوائد، وما يترتّب عليه من ارتقاء مأمول، وما يحدثه من مفاجئات موجبة، ومن ثم فاتخاذ القرار ارتقاء يُمكِّن من إحداث النُّقلة وبلوغ المأمول.

ولأنَّ صُنع الخوارق لم يكن مستحيلًا فَلِمَ لا تُصنع باستمرار تحدٍّ للعقل بملكاته العقلية؟ فالعقل دائمًا مَكمن الخوارق، فمن بلغ عقله عقلًا عن غير توقّع بلغ المعجز إعجازًا، ومن بقي في دائرة المتوقّع؛ فلا إمكانيّة لبلوغ الخوارق التي في النّهاية لا تكون إلّا في دائرة الممكن غير المتوقّع.

وعليه: إذا أردنا أنْ تُصنع الخوارق فعلينا بإيجاد المناخ المناسب علمًا وبحثًا علميًّا، ولا قيود على التفكير الإنساني، ولا موانع ولا تخويف من أحدٍ، بل المكتبات مليئة بالمصادر والمراجع والدّوريات العلمية، وأنَّ المقرّرات المدرسيّة والجامعيّة معدّة على قاعدة كلّ شيء ممكن ولا استغراب،

ثمّ أنّها تحرّض المتعلّمين على التحدّي وقهر الصّعاب، وإلى جانب ذلك فالتحفيز يسرّع من إدارة العجلة تجاه التقدّم وإحداث النُّقلة وإيجاد ما لم يكن متوقعًا.

وعليه:

. بلوغ الخوارق مُمكن فلا تستغرب.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تبلغ خارقة.

. لا تستسلم للمتوقّع وتغفل عن غير المتوقّع الذي يخرجك من زمن المفاجئات.

. لا تُوقِف تفكيرك عند حدود المألوف؛ فالتوقّف عند حدوده لا يمكّنك من بلوغ الخوارق إضافة معرفيّة.

. لا خارقة إلّا بمقدرة عقليَّة، فانتبه لنفسك ولما حولك ولما يجب حتى ولو تجاوزت المألوف بما هو موجب.

. الخوارق يتمّ اكتشافها بين الفجأة والانتباه، فانتبه واعلم أنَّ السّرحان مضيعة للوقت؛ فلا تعوّد نفسك وعقلك الخوض فيه.

. اكتشاف الخوارق أو بلوغها يُمكّن من معرفة قوانينها تاليًا، أي: إنّ الخوارق تكتشف أوّلا ثمّ بعد الاكتشاف يتمّ التعرّف على القوانين التي هي عليها.

. معرفة الخوارق تمكّن العقل من التحدّي والبحث عن المزيد.

. معرفة الخوارق تقهر المألوف، وقد تقضي عليه، ولا مخاوف.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المعجز تسليمًا.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المستحيل والوقوف دونه مستحيلًا.

. صُنع الخوارق لا يكون إلّا تجاوزًا للقولبة والتمنهج وأساليب الرّتابة المملّة.

. صُنع الخوارق يظهر أو يوجد ما لم يكن ظاهرًا أو موجودًا معرفيًّا.

. صُنع الخوارق صور تُنتج على غير هيئة مسبقة.

. يعد استخراج الشيء من الشيء على غير مألوف خارقة عقليَّة.

ولهذا ينبغي أن يعوّد الإنسان نفسه على الأخذ بالمنهج العلمي ويفضّل أن يتجاوزه معرفة بما هو أكثر تيسيرًا حتى وإن كان نتاج وقته، وعليه بقبول الصّعاب والعمل على تحدّيها حتى تُهزم.

النُّقلةُ من السَّماء إلى الأرض:

مع أنَّ صفة النُّقلة ترتبط بالانتقال من التخلّف إلى التقدّم والنَّهضة فإنَّ تغيير الأحوال وسبل العيش إذا ما قورنت بين ما كانت عليه في السَّماء جنّة، وما أصبحت عليه في الحياة الدنيا سفليّة يشير إلى حدوث نُقلة كونها حدثت في الوقت (كُن) وهو زمن الأمر المفاجئ وكذلك هو زمن تحقّق الفعل بالقوّة طوعًا أو كرهًا، ومن هنا التفت أبونا آدم إلى نفسه ومن حوله وأمل العودة نُقلة إلى السَّماء لم يفارقه أبدًا.

ومع أنَّنا ميّزنا بين مفهوم النُّقلة والنَّقلة كما سبق تعريفه وتبيانه، فإنَّ مفهوميهما يختلف عن مفهوم نُقِلَ الذي يعني نُقل بغير إرادة ولا رغبة كما

نُقِلَ أبونا آدم ومن معه هُبوطًا من علوٍّ ورفعة إلى دنيا وسفليّة دون أن يكون لهم رأيٌ في نقلهم من السَّماء إلى الأرض.

ومع أنَّ النُّقلة في تعريفاتنا السَّابقة لا تكون إلَّا إلى الرّفعة والنّهضة والقمّة فإنَّ تغيُّر سُبل الحياة فجأة مُطلقة من السّماء إلى الأرض لا وصف له إلَّا نُقلة، وهي التي تحقّقت لأبونا آدم بِنقلهِ قوّة؛ ليكون الخليفة في الأرض، ومن ثمَّ فالأمر لم يعد هيّنًا؛ إذ يجد أبونا آدم عليه السَّلام نفسه الخليفة في الأرض، وكأنَّه المسؤول الأوَّل عليها، والأمر هنا لا شكّ أنَّه يشير إلى نُقلة ليست هيّنة وقد حدثت، والنُّقلة هنا ماديَّة وروحيّة ونفسيَّة، أي: أصبح الوجود المادّي لآدم عليه السَّلام في الأرض، وليس في الجنَّة (ليس في السّماء)، ومن تمَّ فوجود آدم في وسط الملائكة في السَّماء وجودًا روحيًّا يختلف عن وجوده في الأرض روحًا، وهكذا النّفس التي لم تكن تعرف السّوء في السّماء أصبح السّوء بينها والغير له فُسحة واسعة ومغذّاة بالأعمال الشيطانيَّة التي بدأت العداوة بينه وآدم مجرّد إغواء وأصبحت على أشدّها في الأرض.

ولذا فَمِنْ متغيّرات النُّقلة، نُقِلَ أبونا آدم من حياة العلّيين إلى حياة السُّفليين؛ نُقلةٌ والحياة فيهما متخالفة: (بين ما كان فيه آدم ومَن معه، وما أصبح عليه نُقلة).

والنُّقلة من السّماوات إلى الأرض نُقلة رسالات؛ إذ أصبحت العلاقة بين السَّماء والأرض علاقة رسالات من الخالق تعالى إلى المخلوق، من

خلال اصطفاء الأنبياء والرُّسُل عليهم الصَّلاة والسَّلام، وتكليفهم بالنبأ والبلاغ المبين، دعوةً، وهدايةً، وتبشيرًا، وأمرًا، ونهيًا، وتحريضًا.

إنَّها مرحلة التعلُّم، والمعرفة الممكِّنة من التمييز بين ما يجب طاعة، وما لا يجب طاعة: (التمييز بين الحقِّ، والباطل)، وبين ما يؤخذ الرّأي فيه وما لا يؤخذ، وبين المحرَّم والمجرَّم؛ فمرحلة التعلُّم، والمعرفة هي: مرحلة التعلُّم، والتعرُّف على ما لم يسبق للإنسان أنْ عرفه، وهو: الذي لا يعلمه إلَّا الله تعالى. إنَّها المرحلة النُّقلة من الظُّلمة إلى النُّور، ومن الإباحة المطلقة إلى التقييد المشروط: (مرحلة اختبار العقل)، مع ضبط النفس التي لا يرضى الله عنها إلَّا طائعة منضبطة، ومن ثمَّ تُرك الإنسان حرًّا؛ ليختار بين ما يُمكِّنه من المأمول جنَّةً، وما يحرمه منها، ويدخله جهنَّمَ.

ومن ثمَّ كانت النُّقلة من الوقوع في المفاسد والمعيبات إلى الفضائل الخيِّرة التي جاءت بها الرِّسالات السَّماويَّة هداية؛ فكانت مشاكل الإنسان نتيجة الضلال، وعدم معرفة الحقّ، ولما جاء الحق منزَّلًا كفر به كثيرون، وبخاصّة من اعتاد السير على سُبل الضلال، وفي المقابل القلة اهتدت إيمانًا بالحق المنزَّل، ومن ثمَّ كان الصّدام، والخصام، والاقتتال بين أنبياء الحقّ وجنده المؤمنين من جهة الإيمان والطَّاعة، وأهل الكفر والمفاسد من جهة الكفر والضلال: (بين أهل الحياة العليا، والحياة الدنيا).

ولهذا فأبونا آدم عندما وجد نفسه على الأرض دنيا كان أمله أنْ يعمل ما من شأنه أنْ يعيده إلى الجنّة ارتقاءً؛ تلك الجنّة التي فقدها، ولم يعد يراها نعيمًا على الأرض المغبرَّة التي أُهبط بها أرضًا.

فأبونا آدم خُلق في الجنّة، وشهد على نعيمها، وفيها تمتّعَ، ثم حُرم منها، وأهبط به، والأرض دُنوًّا، ولكنَّه لم ينس ذلك العيش الرّغِد والوفرة التي لا تُحصى، والتنوّع المتّسع جمالًا، وبخاصّة بعد أن أصبح على الأرض التي لم تأخذ أيّ صفة من صفات الجنّة سوى الماء الذي يبقي على الحياة، ولا يُبقي على النّعيم؛ فأصبحت الحاجة تملأ نفس آدم وزوجه بعد أن حُرما من مشبعاتها المنقوصة في الحياة الدّنيا.

وعليه: فإنَّ بني آدم في دائرة الممكن هم بين متوقّع وغير متوقّع، أي: إنَّهم بين متوقّع الارتقاء، ومتوقّع الدّونيَّة، ومن جهة أخرى هم: يتبدَّلون؛ إذ لا ثوابت فمنهم من يبقى على الارتقاء، ومنهم من يتخلّى عنه، ومنهم من نراه في دونيَّة.

ولأنَّ العلاقة بين الاختلاف والخلاف وثيقة؛ فكان الصِّدام بين الحقّ والباطل، اللذين بأسبابهما اصطفى الله تعالى الأنبياء والرُّسُل عليهم الصَّلاة والسَّلام، مبشرين، ومنذرين، وداعين، ومحرّضين على كلّ ما من شأنه خير؛ فكان أوَّل الأنبياء عليهم الصَّلاةُ والسَّلام: آدم نبيًّا على المختلفين خَلقًا: (الملائكة، والجنّ، والإنس)؛ ولأنَّ الإنس غير الملائكة، وغير الجن؛ فكان بينهم الاختلاف والخلاف كما هو آتٍ:

أوَّلًا: كان الخلاف بين آدم والملائكة على من يكون خليفة في الأرض: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ

فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}[17].
وهنا كان التفضيل لآدم على الملائكة الذي حمل ما لم تحمله الجبال.

ثانيًا: كان الخلاف بين آدم والجن: {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ}[18]. ثمّ كان الاختلاف والخلاف بين الجن، وسيظل على الكثرة مع الكثرة: {وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا}[19]، وقال تعالى: {وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا}[20].

ثالثًا: كان الخلاف بين الإنس: (آدم وزوجه): وكان من بعدهما الخلاف بين ابنيهما اللذين من بعدهما وقع الخلاف بين النَّاس وسيظل: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[21]

ومع أنَّ الخلاف بين الإنس والجن، فإنَّ الفاسقين من النَّوعين يتوافقون فسقًا، والصَّالحين من الإنس والجن يتوافقون صلاحًا: {وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}[22].

وهكذا، كان الخلاف يتجدّد، ويتكرّر مع أنبياء الله جميعهم، خلافٌ سببه: الصّراع بين أهل الحقِّ، وأهل الباطل، فسيدنا إبراهيم عليه السَّلام

---

[17] البقرة: 30.
[18] الكهف: 50.
[19] الجن: 4.
[20] الجن: 11.
[21] هود: 118، 119.
[22] الجن: 5، 6.

الذي بُعث للهداية كفر به بعض النَّاس، حتى كادوا أن يقتلوه، ويُحرّقوه لولا فضل الله: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[23].

وسيدنا نوح عليه السَّلام وهو الأسبق على سيدنا إبراهيم قد خالفه قومه، ومن بعده لوط، وشعيب، وغيرهم من الأنبياء عليهم السَّلام الذين ابتلوا في شعوبهم، وأقوامهم، وقراهم، ومدنهم، وآخرهم رسول الكافَّة سيدنا محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ}[24].

ولأنَّ بني آدم لم يُخلقوا على الكمال؛ فكان الضّعف فيهم رغبة وشهوة؛ حيث اختياراتهم بأيديهم؛ ولذلك فمن عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها: {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}[25]، أي: إنَّ الضّعف، والوهن هما مكمن العلّة الآدميَّة؛ فمن يقوى من بني آدم ينهض، ويرتقي، ومن يضعف يستكين، ويعوجّ انحرافًا؛ ولهذا بعث الله الأنبياء والرُّسُل الكرام، يرشدون إلى ما يؤدّي إلى القوّة والارتقاء رحمة؛ فكان نوحٌ آيةً، وبين يديه آيات النّهوض ببني آدم إلى ما يجب أن يكونوا عليه قمّة، ولكنَّ الضعف كان في معظم بني قومه آية؛ فكذّبوه، وكفروا به، وبما جاءهم به من الله هداية.

فتلك الفترة التي بُعث فيهما آدم نبيًّا قد انتهت، والخلاف على أشدّه بين بَنيهِ الأوائل؛ فبعث الله نوحًا لهدايتهم، ولكن شدّة الخلاف

---

[23] العنكبوت: 24.

[24] الفرقان: 31.

[25] النساء: 28.

كانت عائقًا أمام هداية كثيرين منهم؛ فكان الطّوفان حلًّا فاصلًا بين من اتبع الحقّ هداية، ومن ضلّ عنه ضعفًا وانحرافًا: {قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ}[26]. فالقليل هم الأقوياء الذين ارتقوا إلى ما يُمكِّن من النّجاة، أمَّا أولئك الضّعفاء؛ فغرقوا ضعفًا ووهنًا.

وظلّت الحياة بعد الطّوفان العظيم مَحبّة، ومودّة بين بني آدم الذين نجوا هداية، وقوّة، وارتقاء، ولكن لأنَّ الذين أُهبِطَ بهم ظلوا على الأرض الدّنيا على ما هم عليه من خلاف، فالخلاف بين بني آدم لا مهمة له إلّا إيقاد نار الفتنة، وهنا تكمن علّة الضّعف، والوهن الآدمي؛ حيث بقاء الشّهوة، والرّغبة الجامحة في نفوس من خلف بعض النّاجين، ممّا ولّد فيهم ما ولَّد من خلافات، وانحرافات، وشدائد، وتأزُّمات، وكأنَّ الطّوفان لم يُحدِث آية؛ فضلَّ من ضلّ إلى أن بعث الله إبراهيم نبيًّا ورسولًا، ثمّ بعث من بعده من بنيه أنبياء عظام؛ فكان خاتمهم سيدنا محمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ نبيًّا ورسولًا بالرّسالة الخاتمة، وللنَّاس كافّة، ولا إكراه في الدّين؛ إذ تبيّن الرّشد من الغي.

نُقلةُ الاستخلاف في الأرضِ:

مع أنَّ إحداث النُّقلة يتطلّب جُهدًا ليس بالهيّن فإنَّ استخلاف الإنسان في الأرض كان نَقلة مكانيّة (ماديَّة)، وهذه ليست بالنُّقلة فكرًا وعلمًا وحضارة، ومن ثمَّ فإنَّ النَّقلة لا تُمكِّن من الاستخلاف، بل النُّقلة

[26] هود، 40.

وحدها التي تُمكّن منه؛ ولذا فالذي أحدث النُّقلة وجعل آدم خليفة في الأرض هو النبأ العظيم الذي بُعث به آدم نبيًّا يُعلِّم بما علّمه الله به نُقلة.

ومع أنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم ليكون خليفة في الأرض، فإنَّه لم يحافظ خُلقًا على حُسن خَلقه، ولهذا فكلَّ ما ساءت أخلاق الإنسان أنحدر دونيَّة وسُفليَّة، ومع أنَّ الله بعث الأنبياء والرُّسُل مرسلين لأقوامهم، ومدنهم، وقُراهم، وشعوبهم، وقبائلهم ليدعونهم إلى التوحيد، والهداية، فإنَّ البعض قد كفر بالحق الذي لا نُقلة إلَّا به.

وقد ورد لفظ: (خليفة) في النّص القرآني في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}27، كان هذا ضمن سياق الآيات العظيمة التي كانت تمثل البداية الأولى للنُّقلة البشريَّة، فقد وردت ضمن سياق قصَّة رسمت البداية الأولى في كل تفاصيلها، ومن بين هذه التفاصيل كانت الخلافة نُقلة بالنبأ العظيم، وسياق الخطاب القرآني في هذه القصَّة اتسم بالتشريف لآدم.

ويلاحظ أنَّ لفظة الخليفة في النّص القرآني وردت بصيغة التنكير التي تحمل دلالة الإطلاق المنفتح غير المتحقّق على اسم شخص بعينه، ولهذا كانت البداية لورود اسم الخليفة بداية لتشكل نمطًا معرفيًّا للصُّورة التي يكون عليها النسق المراد تحقّيقه في الاستخلاف في الأرض نُقلة.

---

[27] البقرة 30.

ولم يكن أمر الخلافة مرتبطًا بـ(آدم) فقد وردت في سياقات أخرى في النّص القرآني: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ}28، وقوله تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاس بِالحقّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}29.

بناء على ما جاء في هذه الآية الكريمة جاءت النُّقلة لترسّخ الحكم بين النَّاس رفعة وقمّة، ومن هنا فعلينا أن نفرّق بين: (حكم النَّاس)، و(الحكم بين النَّاس):

الأولى: أنْ يتم حكم النَّاس كما يشاء من أُتي الحكم من الله تعالى.

والثَّانية: أنْ يتم الحكم بينهم كما هم يرتضون؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاس أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}[30]؛ ذلك لأنَّ العدل مُرضٍ لكلّ النَّاس، وهذه الآية الكريمة تؤكد على أنَّ الحكم بين النَّاس، وليس حكم النَّاس؛ ولذا فالذين يحكمون بين النَّاس بالعدل هم الخلفاء بارتضاء النَّاس.

وعليه: فالخليفة العدل هو الذي بحكمه العدل يصلح الأرض ولا يفسد فيها، ولا يسفك دما بغير حقّ: (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاس)، ولم يقل: (إذا حكمتم النَّاس).

---

[28] – النور: 55.

[29] – ص: 26.

[30] النساء 58.

ولذا كان استخلاف داوود في الأرض ليحكم بين النَّاس بالحقّ نُقلة: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاس بِالحقّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى).

وقد يتساءل البعض:

ما هي القاعدة التي أسّس عليها حكم داوود، واستخلافه في الأرض؟

أقول: العدل، وإلَّا هل هناك من يظن غير ذلك؛ والله تعالى قال: (فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاس بِالحقّ)، وإلَّا هل هناك من يظن أنَّ الحكم بين النَّاس بالحقّ لا عدل فيه؟

أقول: لا عدل إلَّا بالحقّ، أي: لولا الحقّ ما كان للعدل وجود.

وقد يتساءل آخر:

هل يمكن أن يكون الحكم بين النَّاس بغير عدل؟

أقول:

في دائرة الممكن قد يتم الحكم بين النَّاس باتباع الهوى الذي نهى عنه الله تعالى في قوله: (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى)؛ ذلك لأنَّ من يتّبع الهوى يهوى دونيّة وسُفليَّة بدلًا من أن يصعد نُقلة في مرضاة الله.

وقد يقول قائلٌ:

بما أنَّ الحكم بين النَّاس في دائرة الممكن قد يميل بالهوى كما يميل الحاكم عن النَّاس، وإذا ما حدث ذلك فلا يكون فرق بين: (حكم النَّاس) و (الحكم بينهم).

أقول: الفرق كبير بين من يحكم النَّاس، ومن يحكم بينهم، فالذي يحكم النَّاس يكون الأمر كل الأمر بيده، والذي يحكم بين النَّاس يكون الأمر كل الأمر بيد النَّاس؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[31].

وعليه: فمن يؤمن برسالة محمَّد: (الإسلام) يكون خليفة بما استخلفه الله به في الأرض ألا وهو القرآن النُّقلة، أي: نُقلة من الجهل إلى العلم، ومن الأميَّة إلى الدّراية، ومن الكفر إلى الإيمان؛ قال تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[32].

ولأنَّ المستخلف بالاصطفاء لا يُفرّق بين الذين استخلفوا فيها من قبله بالاصطفاء من أنبياء ورُسُل؛ فكذلك نحن مأمورون من الخليفة محمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بأن نؤمن بما أُنزل على محمَّد، وجميع الأنبياء والرّسُل الكرام؛ قال تعالى: {قُولُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آَمَنُوا بِمِثْلِ

---

[31]. الشورى: 38.

32 - الأعراف: 74.

مَا آَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}33.

ولأنَّ الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، فهو خلقه لرِسالة، ولأنَّ له رسالة؛ أُستخلف بها في الأرض ليُصلح فيها ولا يفسد، ولا يسفك الدّماء بغير حقّ، إذن الله تعالى اصطفى الرّسُل صلوات الله وسلامه عليهم برسالات الإصلاح المؤسسة على قاعدة الاستخلاف في الأرض نُقلة، وهي التي استوجبت مخلوقًا في أحسن تقويم، وهكذا الاستخلاف من بعدهم لا يكون إلَّا برسالة، ولأنَّ رسالة محمَّد صلوات الله وسلامه عليه هي الرّسالة الخاتمة، إذن لا خليفة إلَّا ويكون على الرّسالة نُقلة.

والخليفة الخاتم هو محمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، الذي خَلف كلَّ الرُّسُل الذين سبقوه اصطفاءً، وهو الرَّسُول الذي ليس من بعده رسولٌ آتٍ، وهو المصدّق على ما سبقه بعد نسخٍ، وتنزيل من لدن عليم حكيم.

ومع أنَّ محمَّدًا كان نبيًّا رسولًا، فإنَّه كان معلَّمًا ليُعلِّمَ، وليُفصِّل الآيات الربَّانيَّة بكيفيَّة تُمكِّن المهتدين من الممارسة، والعمل، والسُّلوك كما شاءها الله تعالى نُقلة؛ ولهذا أمرنا الله تعالى بالإيمان بالرَّسُول، وطاعته، والأخذ بأمره، واتباع نهيه بغاية بلوغ الجنّة نُقلة من الحياة الدنيا إلى الحياة العليا (من الأرض إلى السماء).

وبالعودة إلى قراءة التاريخ في تلك العصور الغابرة كانت أمَّة العرب بين ظُلمةٍ ونورٍ، وقبائل بدويَّة يغلب عليها طابع التنقّل والتّرحال، فبعث

33 - البقرة: 136، 137.

الله فيهم محمَّدًا رسولًا منهم يهديهم، ويعلِّمهم الكتاب والحكمة، وينهض بهم من حياة الخيام، والكفر، والتخلف، إلى حياة الإيمان، والمدنيَّة الآمنة، والمستقرة نُقلة.

في تلك العصور وقبل بعثة محمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كانت أمَّةُ العرب تتصدَّرُ الحضارات نُقلة: (علمًا، وفنًّا، وإعمارًا)، وكان العالم البائد بها يتغنّى، ومع أنَّها عبر التَّاريخ كلَّما انتكست، أو انكسرت أعادت البناء نهوضًا ونُقلة، فإنَّها في عصورنا هذه ألمَّ البياد بها فوهنت، وشاخت سفليَّة ودونيَّة.

ففي تلك العصور كانت حضارة: (العرب عاد) نُقلة لا مثيل لها: {لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ}[34]، ومع ذلك أهلها طغوا، وكفروا بنعمة الله عليهم، فبعث فيهم رسولًا؛ ليرشدهم إلى التي هي أحسن فلم يهتدوا؛ فكانت الانتكاسة على رؤوسهم بأيديهم كفرًا، وطغيانًا: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا}[35]، إنَّها الانتكاسة من القصر إلى الخيمة، من الحضارة إلى فيافي الصَّحراء، إنَّها حضارة العرب التي كانت: (جَنَّاتٍ وعُيُونٍ)، والتي من بعد أصبحت في خبر كان، ولم يبق شيء في مركز الحضارة: (حضرموت) إلَّا الخيمة، التي نُسجت من شعر المعز، ووبر الإبل.

ولأنَّ العرب أهل حضارات فكلَّما انكسروا في حضارة بنوا غيرها؛ فهم من بعد حضارة: (عرب عاد في حضرموت) بنوا حضارة النُّقلة، وهم:

---

[34] الفجر: 8.

[35] هود: 58.

(عرب ثمود في شمال الجزيرة العربيَّة)، {وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ}[36] فأولئك العرب بلغوا من التقدُّم نُقلة ما جعلهم ينقلون المياه في الصَّخر العظيم يجري وكأنَّه وادٍ؛ ليروي الأرض زراعة، حتى قُهرت الحاجة فيهم، وأصبحت الحضارة عنوانهم نُقلة.

وهكذا كان لحضارات العرب مراكز متقدِّمة في وادي النيل: أهرامات عملاقة تعدُّ من إحدى العجائب السَّبع التي ما زالت شاهدة على سيادة حضارة العرب نُقلة: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ}[37]، وكذلك حضارة عرب بابل ذات الحدائق المعلَّقة التي هي الأخرى تعدُّ إحدى عجائب الدُّنيا السَّبع في العالم القديم، ومع أنَّ حضارات العرب قد زالت فإنَّ بعض آثارها لا يزال شاهدًا على التَّاريخ الحضاري، فَسدُّ مأرب العظيم في اليمن، ومملكة سبأ التي ذُكرت ملكتها في القرآن لخير دليل على تقدُّم العرب ثقافةً، وعلمًا، وسياسةً، واجتماعًا، فالعرب قبل انتكاسات حضاراتهم سبقوا العالم في تبوَّء المرأة القمم السُّلطانية كونها لم تُعد عورة، وفي عهد تلك الملكة كانت الدِّيمقراطية شورى: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ}[38] كما أنَّها، والملك سُليمان عليه السَّلام كانا عَلَمين من أعلام قِمم التقدُّم الحضاري للعربِ نُقلة؛

---

[36] الفجر: 9.

[37] الفجر: 10.

[38] النمل: 32.

مصداقًا لقوله تعالى: {قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً}[39] فقال لها النبي سُليمان: {إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ}[40].

تلك من شواهد حضارات العرب التي كلَّما انتكست لهم حضارة انكسروا خيامًا، والمرأة تُصبح عورة؛ ومن بعد تلك الحضارات عاش العربُ سنين الظُّلمة يتَّخذون من دون الله أربابًا، حتى بعث الله فيهم رسولًا منهم: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}[41].

جاء الدّين الإسلامي منزَّلًا على رسولٍ من العرب، رسولٍ للكافَّة؛ غايته أن يعلِّمهم الكتاب والحكمة نُقلة؛ لينهضوا مما هم فيه من تخلُّف، وعبوديَّة إلى ما هو أعظم تقدّمًا، وأكثر ارتقاءً، وحريَّة؛ إذ: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[42].

ومع أنَّ محمَّدًا عربيٌّ من قريشٍ، فإنَّه الرَّسُول الخاتم وللكافَّة؛ ولهذا كانت المدينة المنوَّرة وجهته الحضارية؛ لتأسيس الدَّولة على الشُّورى ديمقراطيًّا، لقد اختار رسول الكَّافة المدينة؛ لأنَّها المسمَّى الحضاري الذي يحتوي الكلَّ، ولا مغالبة، ولا عصبيَّة، وهذا يشير إلى ولادة سياسة جديدة، حكمتها العدل، والبناء والإعمار، كما يشير إلى: (كفاية يا زمن الخيمة، كفاية يا زمن العصبيَّة، كفاية يا زمن الانكسار).

---

[39] النمل: 44.

[40] النمل: 44.

[41] الجمعة: 2.

[42] البقرة: 256.

في المدينة كان الأمر بين النَّاس شورى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}[43]، أي: في عهدك يا رسول الله لا تقرر أمرًا يخصَّهم نيابة عنهم، أمَّا من بعدك فالأمر بينهم لا يكون إلَّا شورى في كلِّ ما يتعلَّق بهم من أمر، فتأسَّست الديمقراطيَّة بينهم على مبدأ: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[44]؛ ومن ثمَّ كان العِلمُ، والفلسفةُ، والحكمةُ جنبًا إلى جنبٍ مع الفتوحات هداية وعمرانًا، حتى الأندلس التي ما زالت شواهد الحضارة: (العربية الإسلاميَّة) فيها على قيد الحياة قِبلة السَّائحين في العالم.

ولأنَّ محمَّدًا عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، كان عازمًا على النُّهوض بالعرب بالإسلام، عمل على تأسيس مجتمع المدينة؛ ليكون أنموذجًا للحياة المدنيَّة، والحضاريَّة؛ وذلك بغاية التخلُّص من حياة القبيلة: (العصبيَّة) فوثَّق ذلك في وثيقة المدينة: (الميثاق الوطني)، التي ساوت بين سُكَّانها بمختلف أديانهم، وألوانهم، وأعراقهم، إنَّهم: (أمَّة واحدة).

وعليه: فإنَّ اختيار الرَّسُول: (للمدينة المنوَّرة) مقرًّا لتأسيس الدَّولة جعل التطابق بين: (اسم المدينة، وصفتها)، أي: إنَّ اسمها المدينة، وصفتها المدنيَّة، ورسالتها التمدُّن بغاية التحضُّر؛ ولذا فاختيار المدينة في ذاته يدلُّ على روح القصد من الاختيار وهو الارتباط بالمدينة؛ كونه المحقق للرِّفعة، وتبوُّءِ المكانة، التي لا تفريق فيها بين أهلها وإن تفرَّقت عروقهم، وأديانهم. ولتبيان القصد من وجهة نظرنا أتساءل:

---

[43] آل عمران: 159.

[44] الشورى: 38.

لماذا اختار الرَّسُول عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ المدينة المسماة: (المدينة)، ولم يختار غيرها من المدن التي لم تسمَّ باسم: (المدينة)؟

من هنا نَستمدُّ القصد، وبخاصَّة جاءت وثيقة المدينة مرسِّخةً للمدنيَّة، والدَّولة الوطنيَّة: "بسم الله الرَّحمن الرَّحيم هذا كتاب من محمَّد النبي: (رسُول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش، وأهل يثرب، ومن اتبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم. إنَّهم أمَّةٌ واحدة من دون النَّاس"[45]. في عهد الرَّسُول كانت الشُّورى بينهم وبينه عليه الصَّلاة والسَّلام، أمَّا من بعده فأصبح الأمر بينهم شورى كما سبق تبيانه.

النُّقلةُ من بعد رَسُول الكافَّة:

النُّقلة التي جاءت نبأ منزَّلًا من السَّماء إلى الأرض بغاية رفعة النَّاس وعيًا ودرايةً من الكفر والشّرك إلى الايمان بالله وحده أمرًا ونهيًا، عقبتها نُقلة تسيير العلاقات وتنظيمها بين النَّاس عدلًا، أي: بعد وفاة رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام الذي على يديه رُبطت العلاقة بين السَّماء والأرض نُقلة من الظُّلمة إلى النُّور، أصبحت العلاقات من بعده بين النَّاس بيد النَّاس؛ إذ لا إكراه في الدين.

ومع ذلك فإنَّ النُّقلة الفكريَّة والثقافيّة والإيمانيَّة والحضاريَّة لا تتم إلّا بجهود وحيويّة لها من المستهدفات ما لها، ولها من الإرادة ما لها، ولها من

---

[45] محمود بسيوني شريف، الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان، المجلد الثاني، دار الشروق، القاهرة، 2003.

الإمكانات ما لها، ولها من الرّغبة ما يُمكّنها من قبول التحدّي مع وافر الصّمود، وهذه المرحلة نُقلة تأتي مترتّبة على فترات الرّسالات السّماوية واصطفاء الرُّسُل الكرام عليهم الصَّلاة والسَّلام جميعًا، والرَّسُولُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ نُقلة لا يصطفيه إلَّا الله، والله تعالى لا يُخلِفَ رسولًا برسولٍ إلَّا بنبأٍ أو رسالةٍ، سواء أكانت رسالة للخاصَّة: (القوم، والمدينة، والقبيلة)، أم للعامَّة: (رسالة كافَّة)؛ ولهذا لا يخلفُ الرَّسُول إلَّا رسولٌ، ومن ثمَّ فقد انتهى زمن الاستخلاف باستخلاف الرَّسُول الخاتم: (محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام)، أمَّا من بعد الرُّسُل الكرام فلا خلافة لأحدٍ؛ أي: لا يمكن لعبدٍ أن يكون خليفة للرَّسول، والله لم يصطفه لذلك.

ولهذا فمسمَّى خليفة رسول الله لا ينطبق مفهومه مع مفهوم الاستخلاف، الذي يربط العلاقة بين السَّماء والأرض، فبعد انتهاء فترات بعث الرُّسُل صلوات الله وسلامه عليهم، أصبح الأمر بين أيدي بني آدم، وفقًا لرؤاهم، ومدى ارتقائهم، وأخذهم بالفضائل الخيّرة، التي أمر بها الخالق، ففي زمن الرُّسُل لا وجود للأنظمة الحاكمة؛ بل الأمر كان بين السّماء والأرض إنباءٍ ورسالاتٍ: (أنبياء ورُسُل)، أمَّا بعد الرّسالات والرُّسُل؛ فالأمر أصبح بين النَّاس شورى، وفقًا للإرادة، والحقِّ، والرّغبة، والمقدرة، والحاجة المتطوّرة عبر الزَّمن: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[46]، والشورى هنا: لم تكن خاصّة بالمسلمين، بل هي الحلّ؛ فمن شاء الحلّ فعليه بها ديمقراطيَّة بلا مكاره.

[46] الشورى: 38.

ومن هنا، كان الخلاف في معظمه بين من يحكم من، ومن يأخذ بما أنزلت به الرّسالات الخالدة ارتقاء، وبين من يتخلّى عنه دونيّةً وانحدارًا، ومن يرى الحريَّة حيث لا إكراه، وبين من يراها تمدّدًا خارج الحدود، ومن يراها لا تكون إلّا وفقًا لما يفيد الأنا، أو طائفته، أو قبيلته، أو حزبه، أو مدينته، وفي المقابل هناك من يرى الحريَّة عدالة يستظل الجميع تحت مظلتها حقوقًا تمارس، وواجباتٍ تؤدّى، ومسؤوليَّاتٍ تُحمْل، وبين هذا وذاك لا يزال بنو آدم مختلفين، وسيظلون إلّا من رحم ربّك: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[47].

ولأنَّ الخلاف لن ينتهي بين بني آدم، إذن: فسيظل بينهم حيثما بقوا على أرض الاعوجاج دُنيا، ولا استغراب أن يخالف بعض النَّاس بعضًا، ولا استغراب أن يتصادم بعضهم مع بعضٍ، ولكن الاستغراب ألَّا تُصحّح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة تُصلح المعوجّ، وتدفعه تجاه الحلّ دون هيمنة، ولا حرمان؛ أي: لا ينبغي أن يُلغى الخلاف، بل ينبغي أن يلاحق الاختلاف حلّا حيثما حلّ.

وعليه: في زمن الرّسالات والأنبياء الكرام كان الحلُّ يتنزّل على الأقوام، والأمم، والكافّة من السّماء تنزيلًا، أمَّا في الزّمن الذي بعد رسُول الكافة، فلا نبي، ولا رسالة بعد الرّسالة الخاتمة، كلّ شيء قد أُنزل، وبقي الأمر بين النَّاس شورى، سواء أكان أمر النَّاس سلمًا، أم حربًا، أم سياسةً داخليَّةً، أم سياسةً خارجيَّةً؛ فما يتّفق عليه من يتعلّق الأمر بهم يُقدَّر،

[47] هود: 118، 119.

ويحترم، ويعتبر؛ فَيُقر، ويؤخذ به عملًا، وفعلًا، وسلوكًا، وفي المقابل لا يؤخذ بما يخالفه؛ لكونه معوجًّا.

ولذلك فالخلاف، والخصام، والجدال، والصّدام في زمن الرُّسُل، تأسّس على الفضائل الحميدة، التي لا تستمدّ إلّا ممّا أنزل من عند الله؛ إذ قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}[48]، وقال تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[49]، وقال جلَّ جلاله: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[50].

فهذه الفضائل ارتقاءً جاءت إنسانيَّة، وستظل إنسانيَّة بين من يأخذ بها ارتقاءً ونُقلة؛ لأنَّها فضائل طي الهوة، التي تُختلق من الحين والحين بين بني آدم عِلّة.

أمَّا بعد اختتام الرّسالات والرّسُل، فأصبح للقيم الاجتماعيَّة تقديرًا ومكانةً، إلى جانب تلك الفضائل الإنسانيَّة، فأصبح للخصوصيَّة الاجتماعيَّة أهميَّة ومكانة، ولتنوّع اللغات أهميَّة ومكانة، ولما يختاره ويقرّه النَّاس أهميَّة وضرورة، ومن ثمّ، أصبح للدّساتير، والقوانين المنفّذة لها أهميَّة مقدّرة بين الأمم والشّعوب؛ ولذلك فالأخذ بالقيم الحميدة يؤكّد أهميَّة تلك الفضائل الخيّرة في ترسيخ قيمة الإنسان، وحفظ كرامته من خلال عدم إكراهه بأيَّة عِلّة، ومن خلال مشاورته في كلّ أمر يتعلّق به وبمصيره، وفي المقابل من يغفل عن أهميَّة ذلك، سيجد نفسه شريكًا في كلِّ ما يؤدّي إلى

---

[48] البقرة: 256.

[49] الشورى: 38.

[50] الكافرون: 6.

الفتن، والانقسامات، والصّدمات المؤلمة، التي لا تكون إلّا على أيدي المعوجّين عمَّا يجب أن يكون بين النَّاس محبَّةً، ومودَّةً.

وهكذا كان الخلاف من بعدهم؛ فحادثة سقيفة بني ساعدة؛ حيث اجتمع عدد من الصّحابة من المهاجرين والأنصار، ودارت بينهم مفاوضات، انتهت في النهابة باختيار أبي بكر كأوَّل خليفة للمسلمين.

وقد تعددت الرّوِايات حول ما حدث تحديدًا في هذه الحادثة، واختلفت الرؤى على صحّة الاختيار، أو الشّورى في المفاوضات؛ فبعد وفاة نبي الإسلام محمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، ورشحوا سعد ابن عبادة للخلافة ولكن حينما سمع عمر بن الخطاب بهذا الأمر، أخبر أبوبكر الصدّيق وأسرعا إلى السّقيفةِ، وأكدا أحقيَّة المهاجرين في الخلافة كما يعتقدان.

دار جدال بين أبي بكر وعمر من جهة، والأنصار من جهة أخرى؛ فاقترح الأنصار أن يكون من المهاجرين أمير، ومن الأنصار أمير، فاختلف معهم عمر بن الخطاب في هذا الأمر، ورشح أبا بكر للخلافة، وانتهى الأمر باختيار صاحب رسول الله أبي بكر الصدِّيق خليفة للمسلمين، وفقًا لترشيح صاحب رسول الله عمر بن الخطاب.

ومن هنا أقول:

لا يمكن أن يكون لرسول الله خليفة، ولكنَّ العرب المسلمون في ذلك الوقت اتخذوا عنوان الخلافة لإدارة شؤونهم المدنيَّة، ولا اعتراض على

مسمى الخليفة، ولكنَّ الاعتراض على إلصاق الخلافة بخلافة رسول الله؛ ذلك لأنَّ الرَّسُول لا يخلفه إلَّا رسولٌ من عند الله، وليس من عند العباد.

ومع أنَّ الاختلاف بين النَّاس من نِعم الله التي بها تتنوَّع أساليب الحياة، وتُكسَر أطواق الملل، ففي المقابل الخلاف بين بني الإنسان نقمة، به تُقطع علاقات المحبَّة والمودَّة، كما قُطعت العلاقات بين الذين يؤمنون بربٍّ واحد، ونبيّ واحد، كما هو الحال بين طائفة أهل الشيعة، وطائفة أهل السنّة؛ فطائفة الشيعة كانت ترى أنَّ آل بيته أولى النَّاس بالخلافة، وأولى آل بيته عمّه العبّاس، وابن عمه علي، وعلي أولى من العبّاس؛ لأنَّه أسبق إلى الإسلام، كما أنَّ له نسلًا من ظهر الرّسول، ثمّ إنَّ العبّاس نفسه لم ينازع عليًّا في أولويَّته للخلافة.

وعليه: أقول: لا صراع على النبوَّة؛ لأنَّ أمرها لا يكون إلَّا من عند الله، مع العلم أنَّ هناك من ادَّعاها، ولكن الفرق كبير بين الحقيقة، والادعاء بها؛ وفي المقابل كان الصراع على أشُدِّه بين النَّاس على من يحكم من.

وهكذا في كلِّ مرحلة من مراحل الدَّولة الإسلاميَّة، الخلافات تتجدّد؛ والخلفاء يُقتلون؛ فقُتل عمر، ومن بعده قُتل عثمان، ثمّ قُتل علي. وقد ظهر بأسباب الخلاف المرتدّون في زمن أبي بكر، والخوارج الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب عندما قبل التحكيم في موقعة صفِّين؛ ذلك لأنَّ الخوارج رأوا أنَّ عليًّا قد أخطأ بقبوله التحكيم؛ فقالوا جملتهم الشهيرة: (لا حكم إلّا لله).

ومن بين أهم المعارك الخلافيَّة موقعة الجمل التي وقعت في البصرة عام 36هـ بين قوات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والجيش الذي يقوده الصحابيَّان طلحة بن عبد الله والزبير ابن العوام إضافة إلى أم المؤمنين عائشة التي قيل إنَّها ذهبت مع جيش المدينة في هودج على ظهر جمل، وسمّيت المعركة بالجمل نسبة إلى الجمل الذي عليه هودج أمّنا عائشة رضي الله عنها.

فبعد حدوث الفتنة، ومقتل الخليفة عثمان بين عفَّان عام 35هـ، بَايَعَ كبار الصحابة الإمام علي بن أبي طالب لخلافة المسلمين، وانتقل إلى الكوفة، ونقل عاصمة الخلافة الإسلاميَّة إلى هناك، وبعدها انتظر بعض الصحابة أن يقتصّ الإمام من قتلة عثمان، لكنَّه لم يأخذ بهذا الأمر.

ومن هنا، كان الخلاف بين علي ومعاوية حتى بلوغ حالة الاقتتال بين صحابة رسول الله؛ فكانت معركة صفّين في محرّم سنة 37هـ؛ حيث أراد الخليفة علي أن يعزل معاوية من على الشَّام؛ فخرج إليه بجيشه، ودار الاقتتال عند صفّين، وعندما شعر جيش معاوية أنَّه على مقربة من الهزيمة، طلبوا التحكيم مع علي وجيشه: (أهل العراق) فرفعوا شعار: (كتاب الله بيننا وبينكم) إنَّه شعار أهل الشَّام تحت رئاسة معاوية.

ومع أنَّ الطرفين قد اتفقا على وقف الاقتتال والقبول بالتحكيم، فإنَّ الرّفض كان على أشدّه من قبل طائفة من جيش علي بن أبي طالب، ومع ذلك، تمّ الاتفاق وخُتم بختم علي بن أبي طالب على أعلى صحيفة التحكيم، وخُتم بختم معاوية بن أبي سفيان على أسفل الصحيفة.

ومع أنَّه الاتفاق المختوم، فإنَّ الرَّافضين من أهل العراق بقوا على رفضهم، بل زادوا على رفضهم الخروج عن طاعة علي، ورفعوا صوتهم بقولهم: (لا حكم إلّا لله) وطلبوا من الخليفة علي نقض العهد، ولكنّه رفض.

وكان أبو موسى الأشعري مفاوضًا وممثلًا لعلي وجيشه، وكان عمرو ابن العاصّ مفاوضًا وممثلًا لمعاوية وجيشه؛ فقام الأشعري بخطبته قائلًا: "أيّها النَّاس إنَّا نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح، ولم الشعث، وحقن الدِّماء، وجمع الألفة خلعنا عليًّا ومعاوية، وقد خلعت عليًّا كما خلعت عمامتي هذه" وخلع عمامته.[51]

وقام عمرو، وقال: (أيّها النَّاس إنَّ أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع عليًّا وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب، وهو أعلم به، ألا وإني خلعت عليًّا وأثبِّت معاوية عليَّ وعليكم).

فقال الأشعري: كذب عمرو، ولم نستخلف معاوية، ولكنَّا خلعنا معاوية وعليًّا! فقال عمرو: بل كذب عبد الله بن قيس، قد خلع عليًّا، ولم أخلع معاوية.

ووفقًا لصحيفة التحكيم عاد علي ومن معه من جيشه إلى الكوفة، وتحرّك معاوية وجيشه إلى الشَّام.

[51] سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ج 3، ص 7.

ولأنَّ الخلاف يشتدُّ مع شدّة الصدام؛ فكان على أشدّه بين علي ابن أبي طالب، والذين انشقوا وخرجوا عنه، وكان أكثر شدّة عندما اجتمع الخوارج في النهروان سنة 38هـ، فقاتلهم علي، وقتل منهم من قتل، ثم اختلفوا وتخالفوا؛ فانشقوا بعد ذلك إلى 20 فرقة.

ثم قُتل علي بن أبي طالب على أيدي الخوارج في 16 رمضان 40هـ، وهو يُصلِّي الفجر في المسجد.

بعد عصر الخلفاء الراشدين: (أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي) أخذت الخلافة لونًا آخر، كان التوريث فيها هو العنوان، بدلًا من تلك التجربة التي سبقت؛ ولهذا كان الاقتتال على أشدِّه بين الأخوة والأعمام، وبين الأقارب والأباعد؛ وبهذا انتهى عصر الخلافة دينًا، وهلَّ على المجتمع العربي والإسلامي عصر الخلافة حُكمًا.

النُّقلةُ خِلافًا من بعد الخلافةِ:

مع أنَّ خير نُقلة وأعظمها هي النُّقلة التي ربطت العلاقة بين السّماء والأرض (زمن الرُّسُل الكرام)، فإنَّ كلّ النُقل التي جاءت من بعدها والتي ستأتي ستكون ميادين مواجهتها دائمًا: مواجهة بين حقٍّ وباطلٍ، وبين سُفليّةٍ ورفعةٍ، وبين خيرٍ وشرٍ، وبين تقدّمٍ وتأخّرٍ؛ ولذا ستظل النُّقلة متحقّقة كلّما علوا النَّاس من مستوى السُّفلية والدّونيَّة إلى مستوى الرّفعة والقمّة، وهكذا ستظل الرّفعة قمَّة كلّما ارتفع النَّاس حقًّا وعدلًا وخيرًا وتقدموا علمًا وعمرانًا ونهضةً.

ومع أنَّ بعض النَّاس يأمل النُّقلة من السُّفلية والدُّونيّة إلى كل ما من شأنه أن يُمكِّن من العلو رفعة وقمة، فإنَّ بعض النَّاس لا يرون رفعة إلَّا وفقًا لرؤاهم الخاصّة، والتي لا قمّة ولا رفعة فيها، ومن هنا اشتدت الصّراعات والصّدامات والاقتتالات بين أهل الدّين الواحد والدّولة الواحدة وهذا ما سنراه تاليًا.

ولذا فبالعودة إلى استقراء زمن الخلافة نلاحظ أنَّه لم يكن هناك فصل بين صلاحيَّات من يتولَّى رعاية الإسلام: (الدين) ومن يتولَّى إدارة شؤون المسلمين: (الرَّعيَّة)؛ أي: إنَّ نظام الخلافة كان راعيًا للدّين وكأنَّه لا فرق بينه والدَّولة: (وكأنَّ الدين هو الدَّولة).

أمَّا بعد زمن الخلفاء: (أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية)؛ فقد كان الصِّراعُ داخل الأمَّة – على الخلافة – صراعُ وراثة دمويَّة، وفي المقابل كان الصِّراع مع الخارج فتح دِّولٍ وامصارٍ.

ولأنَّ الخلاف يفرِّق ولا يجمِّع، كان الخلاف بين الذين يؤمنون بربٍّ واحد، ورسولٍ واحد، ولا يفرِّقون بين أحد من رُسله؛ فكان المرتدّون بأسباب حداثة الإسلام، وضعف الإيمان، والاختلاف على من يأتي من بعد الرّسول؛ فكان الخوارج، وكان الاقتتال بين هذا وذاك قتالًا بلا شفقة؛ كلّ ذلك كان بأسباب عدم قبول الاختلاف: (عدم قبول الرأي الآخر). إنَّه الاقتتال من أجل السُّلطة، وليس الاقتتال من أجل الهداية، ونشر الإسلام، والعدالة، وإحقاق الحقّ بغاية إحداث النُّقلة.

ولأنَّه الخلاف المؤدّي إلى الاقتتال؛ كان الخلاف بين أهل الدّين الواحد لا يختلف عن الخلاف مع من هم على دين آخر.

وعليه: فإنَّ الاختلاف والخلاف عبر الزَّمن متلازمان مترافقان في أيِّ مكان، وفي كلِّ دولة؛ وقد بدء الخلاف من بعد وفاة رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام، واشتد في عهد الدَّولة الأمويَّة (662م – 750م)، ثم من بعدها الدَّولة العباسيَّة.

أمَّا في الدَّولة الفاطميَّة فكان الاختلاف منذ البدء مع مؤسّسه عبيد الله المهدي: (909- 934م)؛ وذلك بعد قضائه على دولة الأغالبة، واتخاذه مدينة المهديَّة بتونس عاصمة له، التي من بعدها زحف الفاطميون وحلفاؤهم إلى المشرق وأسّسوا القاهرة مع رابع خلفاء العبيديين المعزّ لدين الله الفاطمي، وبأسباب الخلاف لم يتبقَّ منهم في الجزائر والمغرب وتونس إلّا القليل.

وتوسعت الدَّولة الفاطميَّة على حساب الخلافة العباسيَّة، واستولى الفاطميّون على شرق الجزائر، ثم تونس، ثم ليبيا، ومن بعدها صقليّة التي بقيت في حكمهم حتى 1061م.

ولأنَّه الخلاف على السُّلطة والحكم، دخل الفاطميّون في صراع مع العباسيين للسيطرة على الشَّام، كما أنَّهم تنازعوا السيطرة على شمال إفريقيا مع أمويي الأندلس؛ وكذلك تمكَّنوا من السيطرة على الحجاز والحرمين ما بين سنوات 965 – 1070م. ولكن صلاح الدين الأيوبي انقلب على

الدَّولة الشيعيَّة، وتولَّى الوزارة منذ 1169م، وأعاد الخلافة العبَّاسيّة سنة 1171م.

وفي أثناء حكم الدولة العباسية تكونت فرق دينيَّة متعدِّدة عارضت الحكم العبّاسي، وكان محور الخلاف بين هذه الفرق والحكّام العبّاسيين (الخلافة)، أو إمامة المسلمين، وكان لكلّ جماعة منهم خصوصيَّاتها السياسيَّة في إقامة الحكم الذي تريد.

جعلت هذه الفرق النَّاس على خلافات بين طوائف وأحزاب، وأصبحت المجتمعات العباسيَّة ميادين تتصارع فيها الآراء وتتناقض، فوسَّع ذلك من الخلاف السياسي بين مواطني الدَّولة حتى تصدَّعت وحدتها، ومن العوامل الداخليَّة التي شجّعت على انتشار الحركات الانفصاليَّة، اتساع رقعة الدَّولة العباسيَّة، وبُعد المسافة بين أجزاء الدَّولة، وصعوبة المواصلات في ذلك الزّمن، هذه جعلت الولاة في المدن النائية يتجاوزون سلطاتهم، ويستقلّون بشؤون ولاياتهم، دون أن يخشوا الجيوش القادمة من عاصمة الخلافة لإخماد حركتهم الانفصاليَّة، والتي لن تصل إلّا بعد فوات الأوان، ومن أبرز الحركات الانفصاليَّة عن الدَّولة العباسيَّة، حركة الأدارسة وحركة الأغالبة، والحركة الفاطميَّة.

انتهى الحكم العباسي في بغداد سنة 1258م على يد هولاكو خان التتري، الذي قتل من قتل إلى جانب قتله الخليفة وأبناءه؛ فانتقل من بقي على قيد الحياة من بني العبّاس إلى القاهرة بعد تدمير بغداد؛ حيث أقاموا الخلافة مجدَّدًا في سنة 1261م.

واستمرت الخلافة العباسيَّة حتى سنة 1519م، عندما اجتاحت الجيوش العثمانيَّة بلاد الشام ومصر، وفتحت مدنها وقلاعها، فتنازل آخر الخلفاء عن لقبه لسلطان آل عثمان: (سليم الأوَّل) ؛ فأصبح العثمانيون خلفاء المسلمين، ونقلوا مركز العاصمة من القاهرة إلى القسطنطينية.

هكذا هي نتائج الخلاف، بداية: استيلاء على السُّلطة، ثمّ صراعات وفتن بين الفرق والطوائف التي حياتها لهو، وفساد، وكيد، ومكر، إلى أن تأتي النّهاية سقوط غير مأسوف عليه.

ولأنَّه الخلاف؛ فلا يقتصر على شعبٍ أو دينٍ، أو أمَّةٍ، أو حضارةٍ، بل يمتدُّ بين النَّاس كلّما توافرت معطيات ظهوره؛ فالخلاف كما يجري بين المسلمين؛ يجري بين المسيحيين الذين تقسّموا بأسبابه إلى:

. كاثوليك.

. أرثوذكس.

. بروتستانت.

فبأسباب الخلاف في القرن الخامس الميلادي، حدث انشقاق كبير نتج عنه أنْ أصبحت بعض كنائس الشّرق تحت قيادة كنيسة الاسكندريَّة، وكنائس الغرب تحت قيادة كنيسة روما، وسميت الأولى بالكنائس الأرثوذكسية، والثانية بالكنائس الكاثوليكيَّة إلى أن جاء الخلاف في القرن الحادي عشر الذي بأسبابه انفصلت كنائس القسطنطينيَّة، واليونانيَّة، وبعض الكنائس الأخرى عن الكنيسة اللاتينيَّة، وسميت أيضًا بالكنائس الأرثوذكسية.

وبأسباب الخلاف، يؤمن الكاثوليك والبروتستانت أنَّ الأب أعظم من الابن والرُّوح، والأرثوذكس يؤمنون أنَّهم متساوون.

أمَّا بالنسبة إلى روح القدس: فيؤمن الكاثوليك والبروتستانت أنَّه منبثق من الأب والابن معًا، والأرثوذكس يؤمنون أنَّ الرّوح منبثق من الآب فقط.

أمَّا بالنسبة إلى الابن: يؤمن الكاثوليك والبروتستانت بأنَّه مكوَّن من طبيعتين ومشيئتين، ويؤمن الأرثوذكس أنَّه طبيعة ومشيئة واحدة.

وبالنسبة إلى مريم عليها السَّلام، يؤمن الكاثوليك أنَّها أمّ المسيح، وزوجة الرّوح القدس بالفعل، وأنَّها الآن في السماء، فوق المسيح ابنها، ويؤمن الأرثوذكس أنَّها أم الإله، وأنَّها الآن في السّماء عن يمين المسيح، ويؤمن البروتستانت أنَّها إنسانة عاديَّة مسيحيَّة؛ وهكذا هو الاختلاف والخلاف يتلونان ويتنوّعان ويمتدّان مع الحياة امتدادًا بلا انقطاع.

ومع أنَّ جمال الحياة في تنوّع، فإنَّ الخلاف على رأس المفسدات لهذا التنوَّع، ولا سبيل من بعده للنَّاس إلَّا التفاهم، والتفهُّم، والاستيعاب، والتكيّف، والتوافق، ومن لم يقبل بذلك، سيجد نفسه في الطريق المخالف.

ومن ثمّ؛ فعلى بني آدم أن يميّزوا بين ما يجب ويتّبعونه إرادة، وما لا يجب ويجتنبونه، وينتهون عنه، وبعد التبيّن لا ينبغي أن يكره أحد على شيءٍ هو لا يرغبه: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[52]، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا

[52] البقرة: 256.

مُؤْمِنِينَ}[53]، {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[54]، {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ}[55].

هذه الآيات الكريمات بأسباب الاختلاف والخلاف الإنساني مأمورٌ الأخذُ بها أمرًا من عند الله تعالى؛ فلا داعي للإكراه، والإجبار، والإقصاء، والسيطرة بغير حقٍّ. بل ما يجب اتباعه: قبول الآخر المختلف، واستيعاب المخالف، وتفهّم ظروفه، والعمل معه من حيث هو، من أجل أهداف وآمال مشتركة تستوجب تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة؛ حتى يَتمكَّن الجميع من بلوغ المأمول الأجود مع وافر المحبَّة والتقدير.

ومع أنَّ الدين لا إكراه فيه، فإنَّ البعض يُكره النَّاس قهرًا على ما لا يرغبون، حتى أصبح اللبس وعدم المقدرة على التمييز بين الدين الإسلامي الذي لا إكراه فيه، وبعض المسلمين الذين يسلكون ما يخالف ذلك.

ومن ثمَّ أصبح الخلاف على أشدِّه بين المسلمين الذين لا يرون الدين إلَّا كما أُنزل، وكما عمل، وفعل، وسلك رسُول الله محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، ومن يميل إلى ردة فعلٍ، أو تفسيرٍ لا اتقاف عليه، وقد يتعارض مع سُبل وأساليب الهداية والدِّعاية والتبشير[56].

---

[53] يونس: 99.

[54] الكهف: 29.

[55] الغاشية: 21، 22.

[56] عقيل حسين عقيل، كشف أوراق (الخلاف في دوائر التاريخ)، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة: 2020م، ص 21 - 56.

ومع ذلك فقد انتهى عصر الخلافة، والإمامة، والولاية، ولم يبق شيئًا منه إلَّا مع من تبقَّى من الذين يسخِّرون العناوين لحكم العباد باسم الدين، والدين منهم براء.

التكيُّف تقديم تنازلات:

مع أنَّ البعض لا يرى التكيّف إلَّا موجبًا فإنَّنا لا نراه إلَّا للضّرورة؛ كونه رضوخ للأمر الواقع الذي لا رفعة فيه ولا قمّة، ومن يقبل بالرّكون إلى التكيف مع الأمر الواقع فلا أمل له في النّقلة؛ ولذا فالتكيُّف تنازلات تقدّم بغاية القبول وفقًا للضرورة، ومن ثمَّ فالتكيُّف موائمة نفسيَّة بين الفرد أو الجماعة والبيئة التي هم فيها، أو البيئة التي تحيطهم، بعد القبول الضمني بتقديم التنازلات، أو القبول بالتغيير بما يتناسب مع من هم في حاجة للتكيُّف، ومن هنا فالسَّجين الذي في بداية أمره سجينًا لا يمكنه التكيُّف مع السّجن، ولكن بمرور الزَّمن يتكيّف مع السّجن كأمر واقع لا مفرَّ منه؛ إذ لا معطيات من إحداث النُّقلة، ومن ثمَّ فالسّجين مهما تحقّق له من تكيّف مع السّجن والسّجانين لا يمكن أن يتوافق معهم، ولا مع السّجن، ما يجعل الفرق كبير بين التكيُّف الذي لا يتمُّ إلَّا بتنازلات، وبين التوافق الذي لا يتمّ إلا عن إرادة، وبدون تقديم تنازلات؛ ولذلك فالتكيّف تآلف وتقارب يتمُّ به تعديل السُّلوك، أو تغيير اتجاهه وفقًا لِما هو كائن.

والتكيّف موائمةٌ مبدأ قيمي لا يكون إلّا ضرورة من ضرورات الحياة؛ فالتكيّف الذي يعني المواءمة يستوجب في كثير من الأحيان تنازلات من المتكيّف إلى الموضوع المتكيّف معه، أو المتكيّف من أجله، وهذه التنازلات

لا يمكن أن تتمّ إلّا للضّرورة، وبما أنَّ الضّرورة تستوجب ذلك، إذن: قد يحدث التكيّف ولا يتحقّق التوافق نُقلة.

ومن هنا؛ فالتكيف يستوجب تعديلًا في السّلوك تجاه ما يتراءى للمختلف والمخالف، وإن لم يتمّ تعديل السّلوك؛ فالتكيف لن يتحقّق حتى مع البيئة الطبيعيَّة كالجبال والوديان، والبرد القارس، والحرّ الشديد؛ فالإنسان عندما يضطرّ عن غير رغبة إلى العيش في بعض من أماكن الطبيعيَّة فهو بالزّمن سيجد نفسه متكيّفًا مع المناخ والطّقس المتغيّرين، وبالتكيّف يتأقلم ويكتسب مناعة، ولهذا فلا تكيف إلّا من أجل البقاء وليس من أجل إحداث النُقلة.

ومع ذلك فالتكيف قد يكون سالبًا، وقد يكون موجبًا؛ فعندما يكون مع الظّلم، والفساد، ومع السّلوك الانحرافي المخالف للدّين، والعرف، والقيم الحميدة، يُعدُ سلوكًا سالبًا، أمَّا عندما يكون مع الخير والعدل وممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي، ومع الأخلاق التي يرتضيها الجميع، فيكون تكيّفًا موجبًا، وهكذا سيكون موجبًا كلّما كان نتيجة للتوافق، وكلَّما كان محفّزًا على إحداث النُّقلة[57].

التكيّف موائمة مبدأ قيمي لا يكون إلّا ضرورة من ضرورات الحياة؛ فالتكيّف الذي يعني المواءمة يستوجب في كثير من الأحيان تنازلات من المتكيّف إلى الموضوع المتكيّف معه، أو المتكيّف من أجله، وهذه التنازلات

[57] عقيل حسين عقيل، السياسة بين خلافا واختلاف، ص 45 ـ 47.

لا يمكن أن تتمّ إلّا للضّرورة، وبما أنَّ الضّرورة تستوجب ذلك، إذن: قد يحدث التكيّف ولا يتحقّق التوافق الذي فيه النّقلة رفعة.

وبمعنى آخر، قد يحدث التقارب النفسي، أو التقارب في وجهات نظر المختلفين نتيجة مصلحة أو ضرورة سياسيَّة، أو اجتماعيَّة، أو اقتصاديَّة أو فكريّة، ولكن في معظم الأحيان لا يحدث التطابق بين المختلفين على الموضوع.

ومع أنَّ التكيُّف قد يحدث فإنَّه في معظم الأحيان لا يكون عن رغبة، كما هو حال السّجين الذي لا رغبة له بأن يكون داخل جدران السّجن مقيّد الحرّية، ومع ذلك عبر الزّمن سيتكيّف السّجين مع السّجن كأمر واقع، ومن هنا فالتكيّف في كثير من الأحيان يعدُّ قيدًا على المتكيّف بغير إرادة، ولهذا فشعوب الاتحاد السوفييتي تكيّفت بالقوّة مع النظام الماركسي اللينيني سبعين عامًا دون أن تكون لهم إرادة حرّة.

ولأنَّ التكيف بأسباب الضّرورة، فلا يمكن أن يكون إلّا بعد القبول بتقديم تنازلات مادّيَّة أو معنويةً؛ فعلى سبيل المثال: تعدّ مهمة الشرطة والجيش هي الحفاظ على الأمن في الداخل والحفاظ عليه من الخارج، ومن ثمّ يجنّد الشّباب للجيش والشّرطة، ولكن وللأسف الشّديد في الأنظمة غير الديمقراطية الشّباب يجنّدون لمواجهة من لم يتكيّف مع النظام وحكومته المحكومة بأمر قمّة السّلطان غير العادل؛ وبذلك يُقمع الشّعب إن لم يتكيّف مع توجهات الحاكم وآرائه وسياساته الخاصّة، ومن هنا لن يصبح أمام الشعب إلَّا أحد الأمرين:

- القبول بالأمر الواقع والتكيف معه سُفليَّة.

- رفض الأمر الواقع والثورة عليه نُقلة.

ولذا في الأنظمة الدكتاتورية تُعد مهمّة رجال الشرطة، ورجال الجيش مهمّة وضع القيد على من لا يتكيّف مع الأمر الواقع وإن كان دونيَّة.

ومن هنا فالتكيّف يستوجب تعديلاً في السّلوك تجاه ما يتراءى للمختلف والمخالف، وإن لم يتمّ تعديل السّلوك فالتكيّف لن يتحقّق حتى مع البيئة الطبيعيَّة كالجبال والوديان، والبرد القارس، والحرّ الشديد؛ فالإنسان عندما يضطرّ عن غير رغبة إلى العيش في بعض من أماكن الطبيعة، فبالزّمن سيجد نفسه متكيّفًا مع المناخ والطّقس المتغيّرين، وبالتكيّف يتأقلم ويكتسب مناعة، ولهذا فلا تكيّف إلّا من أجل البقاء، وليس من أجل إحداث النُّقلة إلى ما هو أرفع وأهم.

ولذا فاكتساب المناعة هو الأساس في عمليّة تحقيق التكيّف من عدمه، فعندما يكتسب الإنسان المناعة من سياسات الأنظمة القمعيّة يستطيع التعايش معها بلا مصادق، فيَتعمّد أن يُظهِرَ ما لا يُبطن حتى لا يشتدّ القيد عليه أكثر من غيره من الرّافضين، الذين بأسباب التكيّف يظهرون مالا يبطنون؛ فهم مع أنَّهم يأملون إحداث النُّقلة إلى التوافق المرضي فإنَّهم يظهرون الركون إلى التكيّف وكأنَّه الحلّ.

وعليه: أصبح المواطن في بعض البلدان يتكيّف مع الحاكم ونظامه، وأعوانه، وفي الوقت ذاته يتكيّف مع أعدائه، وهذا الأمر عوّده على أن يتكيّف مع الصّواب كما يتكّيف مع الخطأ.

ومع أنَّ الإنسان ارتقاء قد خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه خُلق ليجد نفسه بين قيم حميدة وفضائل خيّرة، وبين استفزاز الحاجات المتطوّرة في مقابل قصور مشبعاتها، ممّا يدعوه إلى قبول التكيّف بتنازلات، أو أن ينتظر زمن التوافق نُقلة، الذي قد يطول ويجعله على غير أملٍ.

فالكائنات التي يظنّ البعض أنَّها متطوّرة، نعتقد أنَّ التطوّر يستوجب إرادة تمكّن من اتخاذ قرار من وسط مجموعة بدائل، وهذه الخاصيّة غير متوفّرة عند الكائنات التي لم تُخلق في أحسن تقويم؛ ولذلك فالكائنات قابلة لأن تتغيّر، وفقًا لقاعدة التكيّف بأسباب الضّرورة الطبيعيّة، وحتى إن دُرِّب منها ما دُرّب أو عُلّم؛ فهو لن يتطوّر كما هو حال الإنسان وارتقاءه؛ فالإنسان خُلق متميّزًا بخصائص وصفات الارتقاء التي لم تكن من خصائص وصفات بقيّة الكائنات.

ومع أنَّ الكائنات خُلقت على خصائص وصفات، فإنَّ للمفاجآت أثر عليها، فبالرّغم من المفاجآت غير أنَّ الكائنات خُلقت على التهيؤ (التهيؤ الخَلقي، والتهيؤ السّلوكي)، ومن هنا فالتكيّف يلد مع الولادة خَلقًا، ثمّ يتولّد بعد ذلك تدبّرًا؛ فالكائنات كلّما حسّت أو شعرت بما يعرّضها لما يُقلق، أو يشكّل خطرًا عليها، تتهيأ لمواجهته حيطة وحذرًا؛ ولذلك نجد بعضها يتلوّن مع ألوان البيئة تكيّفًا واختفاءً، وبعضها يتكيّف مع التغيرات الفصليّة والمناخيّة، وبعضها العاقل يتكيّف مع ما يواجهه من إجراءات وأعمال في دائرة الممكن، ومع ذلك يبقي للفعل المضادّ أثره. فالبيئة وإن تكيّفت الكائنات مع متغيّراتها، يظل لمتغيّراتها صفات وخصائص خُلقيّة، مثلما للكائنات صفات وخصائص خلقية، ولهذا

فالكائن الضّعيف لا يستطيع أن يصمد كثيرًا؛ فكثير من النباتات والحيوانات تعيش في بيئة معينة، وتضعف في بيئة ثانية، ولا تنمو في بيئة ثالثة، أو لا تنضج ثمارها في بيئة رابعة.

فالتكيّف عمليّة ملائمة ومقدرة على التحسّن في بيئات مختلفة من أجل المحافظة على الحياة وبقاء الأجناس والأنواع، وقد يكون باكتساب خصائص جديدة، أو فقدان خصائص كانت سائدة، ممّا يجعل المتكيّف على حالة أو صفة معيّنة لم يسبق له أن كان عليها، وهو قدرة الكائن الحي على الاستجابة للمؤثّرات الطّارئة أو أيّ سلوك تطوّري بهدف البقاء.

ومع أنَّ النّشوء خَلقي، فإنَّ بقاء الخلائق لا تساوي فيه؛ فهناك من يبقى متكيّفًا حتى النّهاية، وهناك من يزول عدما، ومن ثمّ فالتكيّف لا يكون إلّا عن قوّة، سواء أكانت قوّة بدنيّة أم عقليّة أم مناعيّة.

ومع أنَّ التكيّف قوّة، فإنَّه يكون مع السّالب، ممّا يستوجب تقديم التنازلات من أجل البقاء، فالسّجين على سبيل المثال: إن لم يتكيّف مع السّجن سينتهي حيث لا مقاومة (لا قوّة).

فالتكيّف موائمة نفسيّة بين الأفراد والجماعات والبيئة التي تحيطهم بعد القبول الضمني بتقديم التنازلات، أو القبول بالتغيير بما يتناسب مع ضرورة التكيّف؛ فالسّجين الذي في بداية أمره سجين لا يمكنه التكيّف مع السّجن، ولكن بمرور الزّمن يتكيّف معه كأمر واقع لا مفرّ منه، غير أنَّه مهما تحقّق له من تكيف مع السّجن والسجّانين، لا يمكنه التوافق معهم ولا مع السّجن، وهنا، الفرق كبير بين التكيّف الذي لا يتمّ إلّا بتنازلات

وعن ضرورة، وبين التوافق الذي لا يتمّ إلّا نُقلة وعن رغبة وإرادة، فالذين بأسباب الضّرورة يتحقّق لهم تكيّف مع السّجن، لا يمكن أن يكون لهم حنين إليه بعد أن يقضوا مُدد الأحكام الصادرة بشأنهم؛ ولذلك فالتكيّف ميل يدفع تجاه تعديل السّلوك، أو تغيير اتجاهه وفقًا لِما هو كائن.

والتكيّف كما يحدث مع الأمر السّالب يحدث مع الأمر الموجب، ولكن لا يحدث إلّا للضّرورة، ممّا يجعله بين ظاهرٍ وكامنٍ؛ ولذا فعندما تنقلب المفاهيم، تنقلب السّلوكيّات، ويصبح التكيّف الظّاهر لا يعبّر عن الكامن، ومن ثمّ يصبح الكامن متربصًا بفرص النّجاة وقد ينتهزها.

فالتكيّف لا يكون غاية طالما هو قائم على تقديم التنازلات سُفليَّة ودونيَّة، بل الغاية تحقيق التوازن في عمليّة تفضي إلى المحافظة على النّوع أو الحياة الخاصّة مع وافر التقدير لكل ما من شأنه أن يحدث النُّقلة توافقًا مع الحاجة ومشبعاتها.

ولننظر لما حدث مع بائع الخضراوات (التشيكي) الذي كتب على المحل المرخّص له ببيع الخضراوات فيه (يا عمال العالم اتحدوا) وهو لم يعرف الأبعاد الفكريّة لهذه المقولة، ولكنّه يعرف أنَّ كتابة هذه المقولة قد تقيه شرّ الحكومة وظلمها من أجل أن يبيع خضرواته بسلام، وهو غير مكترث بمضمونها الفكري، وهذا يدلّ على شعور داخلي مفاده:

أيّها المشترون أرجو المعذرة، أنا أعرف أنّ معظمكم مثلى لا يحبّ هذا الشّعار، ولكن الضّرورة الحياتية جعلتني أضعه على واجهة محلي لكيلا ترفعوا رؤوسكم إليه مرّة ثانيه، ولكي تتمكّنوا من اختيار أحسن

الخضراوات، وعليكم أن تراعوا ظروفي. لقد وضعته من أجل أن يقال إنّي صادق، ومن أجل سلامتي وسلامتكم، وأعرف أنّ أكثركم يعارضه سرًّا، ولكن عليكم أن تعرفوا أنّ كتابتي هذه تعنى: معارضتي العلنية له، من أجل أن أكون صادقا معكم، وكاذبًا مع الحكومة التي يرضيها ما لا يرضيكم[58].

ومع أنَّ التكيّف عملية تأقلم من أجل البقاء، وفيه من التنازلات ما فيه عن بعض الصّفات، فإنَّه لا يعدّ ضعفًا ووهنًا، بل الضّعف والوهن يلحق من لا يستطيع تأقلمًا مع البيئات المختلفة فينتهي بلا ثمن.

ولذلك استنتج داروين ما عُرف باسم قانون الانتخاب الطبيعي، فمتى ما يوجد تنازع على البقاء بين الأفراد، واختلاف وتمايز في الصّفات، فإنَّ هذا سيؤدّي إلى أنَّ الكائنات التي تتمتع بصفات تميزها على غيرها كسرعة الحركة أو قوّة العضلات أو طول الرّقبة كالزّرافة مثلاً، ستكون لها الفرصة الأفضل للبقاء وإنتاج مواليد جديدة، في الوقت الذي يفنى فيه خصومها ويزولون، ومن ثمّ يرى أنَّ التنازع على البقاء له تأثير انتخابي في إزالة غير الصّالح من الأفراد وفي الاحتفاظ بالصّالح، وحيثما يبقى الصّالح حيًّا ويتكاثر يهلك الضّعيف[59].

ولهذا فالتكيّف ارتقاء يُمكّن من الصّمود وتحدّي الصّعاب، ومن يتحمّل أعبائه، يتهيّأ إلى بلوغ المأمول ولو طال زمنه.

---

[58] الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، 1988م، ص 26.

[59] تشارلز داروين، أصل الأنواع، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ص 538 . 571.

التكيّفُ مظلّة خلاف (سُفليَّة ونُقلة):

مع أنَّ التكيُّف فيه من السلبيّات ما فيه، فكذلك فيه من تجنّب المخاطر ما فيه، وهذه لا تعد سلبيَّة عندما تكون الغاية من التكيف اغتنام الفرصة الممكِّنة من التغيير وإحداث النُّقلة.

ولذا فالخلاف بين الأنا والآخر في معظم الأحيان لا بقاء له ولا استمرارية إلَّا تحت مظلة التكيُّف، والخلاف لا يكون خلافًا إلّا بقرار يستوجب تحمّل ما يترتّب عليه من أعباء جسام، وتلك الأعباء الجسام قد تجبر صاحبها بأسباب الضرورة أن يغيّر قراره من الخلاف المعلن إلى الخلاف السرّي تحت مظلّة (التكيّف نُقلة).

ومع أنَّ المخالف قد يقبل بنصب مظلة التكيّف ليستظل بها، فإنَّه لم ينصبها غاية، بل ينصبها مظلّة بأسباب الضرورة؛ ولذا فالمهزوم لا خيار له إلّا المقاومة وتحقيق النّصر، أو الاستسلام؛ فإن استسلم ليس له بدّ إلّا قبول التكيّف مع الوضع الجديد والمتغيرات الجديدة؛ فالتكيّف كونه تطبيعًا علائقيًّا وتجنّبًا للمواجهة والصّدام فهو قبول الأمر الواقع حتى وإن كان الأمر الواقع سجنًا.

ولذلك فالتكيّف قائم على تقديم التنازلات بالقوّة الظاهرة، أو الباطنة، سواء قلّت تلك التنازلات أم كثُرتْ، وبما أنَّ التكيّف لا يتمّ إلّا بتقديم التنازلات الماديّة عندما يقبل صاحبها بدفع الثّمنٍ المادّي، أو عندما يقبل بتقديم التنازلات المعنويّة، فإنَّ قبوله لتقديم التنازلات لا يدل دائمًا على حسن النيّة، ومن هنا فعندما يُوضع الإنسان المتكيّف في موقف لا

يرتضيه لنفسه مع قبوله للموقف كرهًا، أو أن يقبل بأن ينزل منزلة هي أدنى من منزلته ويتكيّف معها إلى حين انتهاء الظرف والضّرورة فإنَّه بلا شكّ سيكون متربصًا بأوَّل فرصة تمكِّنه من النيل من أولئك الذين أكرهوه على اتخاذ التكيّف مظلة سُفليَّة.

والتكيّف لا يكون غاية طالما هو تجنّب للصّدام وقبول التطبيع العلائقي القائم على تقديم التنازلات بالإكراه، بل الغاية من ورائه هي التي تؤدّي إلى القبول والرِّضا في عمليّة توازن تفضي إلى المحافظة على المال، والنّفس والكرامة حتى تحين الفرصة ويتم اغتنامها نُقلة ورفعة.

إذن: نتيجة الخلاف دائمًا طرفان متواجهان سرًّا أم علنًا؛ فسرّ: في زمن قبول التكيّف، أمَّا العلن، فقبل زمن قبوله، أو بعد انقضاء عهده، ولا يكون الخلاف إلّا على المضمون ظاهره أو كامنه، قال تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى}[60]. فمع أنَّ هاتين الآتين جاءتا حُجّة لرسول الله عليه الصّلاة والسّلام، إلّا أنّهما جاءتا درسًا لبني الإنسان على وجه العموم، وللمؤمنين على وجه الخصوص، حتى لا يسود الخلاف بينهم، ومن هنا وجب التبيّن، وإلّا بالضرورة سيكون الخلاف واجبًا بين الحقّ والباطل؛ ولذا لا يمكن أن ينتهي أو يزول الخلاف ما لم تنتهِ وتزول المظالم التي بزوالها تفسح الطريق أمام الرّاغبين في إحداث النُّقلة توافقًا.

ومع أنَّه كان ينظر للتكيّف على أنّه ضرورة من ضرورات الحياة، وكأنّه حاجة من الحاجات الرئيسية للفرد والجماعة والمجتمع، فإنَّ الأمر ليس

[60] عبس 3، 4.

هكذا كما يبدو؛ فالتكيّف الذي يعني المواءمة يستوجب في كثير من الأحيان تنازلات من المتكيّف إلى الموضوع المتكيّف معه، أو المتكيّف من أجله، وهذه التنازلات لا يمكن أن تتمّ إلّا للضرورة، وبما أنَّ الضرورة تستوجب ذلك، إذن: قد يحدث التكيّف ولا تتحقّق نُقلة التوافق.

ومع أنَّه لا علاقة للتكيُّف مع الرّغبة فإنَّ للتكيّف علاقة مع التَّحسُّن؛ ذلك لأنَّ الأحوال قبل التكيّف لا تكون إلَّا سيئة، أمَّا من بعد التكيّف وإن كانت التنازلات عنوانها فالأحوال تتحسّن؛ ولذا فالتكيّف سلبيّة لا يكون اختياري إلَّا من شخص أناني، ووفقًا للضرورة، التي تدعو للتأقلم مع المتاح بدون اختيارات ولا بدائل؛ ولذا فكلما تغيّرت البيئات الطبيعيّة أو الاجتماعيّة تغيّرت الصّفات الظاهريّة للكائنات أشكال والوان وصفات، ولهذا فلتكيّف لدى الأسوياء لا يكون إلَّا تلونًا وتبدلّا حتى تتاح الفرص لإحداث النُّقلة.

ومع أنَّ الكائنات خُلقت على خصائص وصفات، فإنَّ للمفاجآت أثر عليها، فعلى الرّغم من المفاجآت غير أنَّ الكائنات خُلقت على التهيؤ (التهيؤ الخَلقي، والتهيؤ السّلوكي)، ومن هنا فالتكيّف يولد مع الولادة خَلقًا، ثمّ يتولّد بعد ذلك تدبّرًا؛ فالكائنات كلّما حسّت أو شعرت بما يعرّضها لما يُقلق، أو يشكّل خطرًا عليها، تتهيأ لمواجهته حيطة وحذرًا؛ ولذلك نجد بعضها يتلوّن مع ألوان البيئة تكيّفًا واختفاءً، وبعضها يتكيّف مع التغيرات الفصليّة والمناخيّة، وبعضها العاقل يتكيّف مع ما يواجهه من إجراءات وأعمال في دائرة الممكن، ومع ذلك يبقي للفعل المضادّ أثره. فالبيئة وإن تكيّفت الكائنات مع متغيّراتها، يظل لمتغيّراتها صفات

وخصائص خُلقيّة، مثلما للكائنات صفات وخصائص خلقية؛ ولهذا فالكائن الضّعيف لا يستطيع أن يصمد كثيرًا، ومن هنا فكثير من النباتات والحيوانات تعيش في بيئة معينة، وتضعف في بيئة ثانية، ولا تنمو في بيئة ثالثة، أو لا تنضج ثمارها في بيئة رابعة.

فالتكيّف عمليَّة ملائمة ومقدرة على التحسّن في بيئات مختلفة من أجل المحافظة على الحياة وبقاء الأجناس والأنواع، وقد يكون باكتساب خصائص جديدة، أو فقدان خصائص كانت سائدة، ممّا يجعل المتكيّف على حالة أو صفة معيّنة لم يسبق له أن كان عليها، وهو قدرة الكائن الحي على الاستجابة للمؤثّرات الطّارئة أو أيّ سلوك تطوّري بهدف البقاء.

ومع أنَّ النّشوء خَلقي، فإنَّ بقاء الخلائق لا تَساوي فيه؛ فهناك من يبقى متكيّفًا حتى النّهاية، وهناك من يزول عدمًا، ومن ثمّ فالتكيّف لا يكون إلّا عن قوّة، سواء أكانت قوّة بدنيّة أم عقليةّ أم مناعيّة.

ولذلك استنتج داروين ما عُرف باسم قانون الانتخاب الطبيعي الذي يرمي مدلوله إلى: إنَّه متى ما وُجد تنازع على البقاء بين الأفراد واختلاف وتمايز في الصّفات بين الكائنات تكون الفرصة لهذه الكائنات هي الأفضل للبقاء وإنتاج مواليد جُدد كما هو حال الكائنات التي تتميّز بصفات السُّرعة والحركة أو قوّة العضلات أو طول الرّقبة كالزّرافة مثلًا، وفي المقابل يفنى خصومها ويزولون، ومن ثمّ يرى أنَّ التنازع على البقاء له تأثير

انتخابي في إزالة غير الصّالح من الأفراد، وفي الاحتفاظ بالصّالح منها، وحيثما يبقى الصّالح حيًّا ويتكاثر، يهلك الضّعيف[61].

التّوافقُ نُقلة

التوافق نُقلة لا يكون إلَّا عن رغبة ودراية، وهذه من محفّزات العقل البشري على التفكير الممكِّن من إحداث النُّقلة وبلوغها، ونيل المأمولات المترتبة عليها.

ولذا فالتوافقُ لا يكون إلَّا عن رغبة وإرادة وهو المرحلة التي يتجاوز بها ذلك الشخص المتكيّف لتلك الظروف التي أجبرته على التأقلم وقبول الأمر الواقع أو الوضع الواقع كما هو لا كما ينبغي أن يكون عليه؛ ولذا فالتوافق انسجام إرادي تتماثل به الأقوال والأفعال بملائمة على الموضوع بين الأنا والآخر، ويتضمَّن التوافق انسجامًا ومشاركةً موضوعيَّةً تتطابق فيها وجهات النّظر أو الأفكار، ما يجعل المشاركة بين الطّرفين موجبة لتساوي كفتيهما بإرادة، وهذا لا يعني ألَّا يكون التوافق سالبًا، فمثلما يتوافق الإصلاحيون كذلك يتوافق المفسدون، والفرق بينهما الموضوع والغايات التي من ورائه؛ ولذلك يكون التكيّف للضّرورة، ويكون التوافق للوجوب.

ومن هنا فالتوافق يؤدّي إلى مغالبة الصِّعاب وإحداث النُّقلة، أمَّا التكيف فيؤدّي إلى التسليم والقبول بالأمر الواقع على الرغم من سلبيّته؛

[61] تشارلز داروين، أصل الأنواع، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ص 571.

ولذا تكون السلبيّة في مضمون التكيف ما لم يكن التكيّف مترتّبًا على عمليّة توافقيّة، ولهذا في التوافق يكون للإنسان رأيًا ومشاركة بدون ضغوط من أحد، أمَّا التكيف في معظم الأحيان فلا[62].

التّوافقُ نُقلة الانسجام:

التوافق قيمة لا تكون سائدة بين النَّاس إلَّا رغبة وإرادة؛ ولذا يعد التوافق تماثل إرادي بين الأنا والآخر، ولا يمكن بلوغه إلَّا بِنُقلة من حالة التكيّف والرضاء بالأمر الواقع إلى ما من شأنه أن يُمكِّن من الانسجام توافقًا، ومع أنَّه نُقلة فإنَّ بلوغها وإن كان في دائرة الممكن فهو ليس بالأمر الهيّن، والتّوافق لا يكون إلّا بتطابق المطلب مع الرّغبة، وتطابق الحاجة المتطوّرة مع مشبعاتها المتنوّعة وظروفها الموضوعيّة، وهو المحقّق للرّضا دون تقديم تنازلات بغير حقّ.

ومن هنا فالتّوافق انسجام إرادي، تتطابق به الأقوال والأفعال مع الموضوع بين الأنا والآخر، ويحقّق انسجامًا وتطابقًا بين أراء وأفكار ووجهات نظر المشاركين في الموضوع الواحد؛ ممّا يجعل المشاركة بين الطّرفين أو حتى الأطراف موجبة لتساوي كفّة التوافق إرادة.

ومع أنَّ التّوافق واحد، إلّا أنَّ للتوافق أنواعًا موضوعيّة كتوافق الزّمن مع الزّمن، وتوافق المكان مع المكان، وتوافق الظّرف مع الظّرف، وتوافق الودِّ مع الودِّ، وتوافق الظّلم مع الظّلم، وهكذا التّوافق لا يتعدّد ومواضعه ومعطياته تتعدّد، حتَّى في القصاص لا حلَّ للمشكل ولا حكم فيه عدلًا

[62] مصدر سابق، الخدمة الاجتماعية (مفاهيم ومصطلحات) ص 81.

إلّا بالتّوافق: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ}[63].

ولكن متى سيكون التّوافق نُقلة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات؟

. عندما يكون للمتوافقين رؤية لمستقبل أعظم.

. عندما يكون للمتوافقين مشروع نهضة يُمكِّن من نيل المأمولات بناء واعمارا.

. عندما تمارس الحريّة دون أن يمتد أحد على حساب حريّة الغير.

. بعد أن ينتهوا عن أعمال الإفساد ولا يعتدون.

. بعد أن تسود بينهم فضائل وقيم المودّة.

. بعد أن يقدّروا الغير احترامًا واعتبارًا وأن يتقبلوا ويتفهموا ظروفهم ثمّ يستوعبونهم (كما هم) من أجل مستقبل إنساني يأمله الجميع.

. بعد أن يلغوا من قواميسهم الفكريّة أفعال الحرمان والهيمنة والإقصاء.

. بعد أن تصبح العدالة هي الحكم فيما هم فيه مختلفون.

. بعد أنْ يُصَحِّحوا المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة، وكذلك عندما لا يتمسّكون بوجوبيّة تماثل القيمة مع الواقع وكأنَّ القيم تمتلك مطلقيّة الثّبات؛ ولذا في بعض الأحيان الواقع يتقدَّم على القيم ممّا يستوجب العمل على تقييم القيم وتقويمها لكي تواكب حركة التغيّر والتقدّم نُقلة إلى

[63] المائدة 45.

الأفضل والأجود والأنفع، وفي البعض الآخر الواقع يتخلّف كثيرًا عن معطيات القيم ممّا يستوجب عدم الرّكون إلى الواقع المتخلّف والتمسّك بالقيم المستمدّة من الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة.

ولأنَّه التوافق نُقلة من ذلك التكيُّف إلى الرفعة المأمولة فيجب أن يُقبل ويتم الإقدام عليه ولا يرفض؛ ذلك لأنَّ الرّفض يتعلّق بما يكره؛ إذ لا عدالة، بل في كثير من الأحيان تكون الغاية من الرّفض بلوغ التوافق بين الأنا والآخر، ومن هنا فالرّفض للظلم خير يجعل النَّاس متحابّين على الحقّ والعدل نُقلة.

إذن: التوافق قيمة نفسيَّة واجتماعيَّة وإنسانيَّة إذا سادت بين النَّاس كانت دليلًا على انتشار الودّ بينهم نُقلة، وإذا انعدمت قيمة التوافق لن يكون الود إلّا في خبر كان.

ولهذا فمتى ما انتهت الخلافات بين النَّاس سادت بينهم المودّة والمحبَّة، ولكن إن سادت بينهم المظالم وعمّت تماثلوا في ارتكابها، ومع أنَّ النّاس يتماثلون في ارتكاب المظالم، ولكنّهم لا يتّفقوا ولا يتوافقوا على ارتكابها، ولهذا فهم مختلفون ويظلوا كذلك إلّا من رحم ربّك.

والتساؤل:

ما هي مُحقّقات التوافق نُقلة؟

أقول:

كثيرة، ومنها:

1 ـ تقبُّل الآخر وتقديره وتفهُّم ظروفه المتعدِّدة.

2 ـ استيعاب الآخر (هو كما هو) والعمل معه من أجل بلوغ ما هو أفضل للجميع.

3 ـ الاتّفاق في وجهات النّظر أو القرار أو الفعل أو العمل المشترك، دون ضغوط من احدٍ على أحدٍ.

4 ـ عدم تقديم التنازلات على حساب ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليّات.

ومن هنا فالتوافق لا يكون إلّا بين العقلاء، أمَّا التكيّف فينسحب على العقلاء وغيرهم كالمكان والأشياء التي نتكيّف معها ولا نتوافق معها على الرّغم من اشتراك المفهومين بمعطيات كثيرة؛ ذلك أنَّ المتكيّف غالبًا ما يكون اهتمامه ماديًّا، أمَّا المتوافق فاهتمامه ينصبّ على الجانب الرّوحي والعقلي والمعنوي من حيث الأفكار والمعتقدات والآراء والطموحات والآمال والنهضة المرجوة نُقلة.

إذن: للتوافق نُقلة جانب فكري عماده العقل، أمَّا التكيّف دونيَّة فلا يكون إلَّا ماديًّا والزمن كفيل بتغييره أو إحداث النُّقلة، كأن يتكيّف الإنسان مع الغُربة أو السّجن أو يتكيّف مع جلسة معيّنة تُفرض عليه بوضع معيّن لمدّة محدّدة، فيجد نفسه مضّطر للتكيّف في فترة زمنيّة معيّنة لظرف خاصّ ليس له فيه رغبة ضمن بيئة فرضت نفسها عليه، ولهذا تنتفي فيه الرّغبة على الرّغم من القبول بالواقع، ومن هنا يكون التكيّف قائمًا على التنازلات، قلّتْ تلك التنازلات أم كثُرتْ، وبما أنَّ التكيّف لا يتمّ إلّا

بتقديم التنازلات، ماديّة حينا بدفع ثمنٍ مادي، ومعنويّة حينًا آخر كأن يوضع الإنسان في موقف لا يرضاه لنفسه مع القبول به، أو ينزل منزلة هي أدنى من منزلته فيتكيّف معها إلى حين انتهاء الظّرف والضّرورة. وفي المقابل التّوافق يقوم على الفكرة سواء أكانت مؤدّية إلى الرّفض أو القبول، انطلاقًا من إرادة ومبدأ يستهدف غاية مؤسّسة على الرّغبة والأمل، وهذه الرّغبة تدفع إلى بناء جسور التلاقي وإقامة علاقات قويّة مع الآخرين والتوافق معهم حجّةً وبرهانًا.

ومع أنَّ مِن غاية التوافق تحقيق التفاهم والتعاون والانسجام والسّلام المحدث للنُّقلة، فإنَّه في بعض الأحيان لا يتحقّق إلّا بإعداد العدّة المرهبة للخصوم، ومن هنا تظهر غاية من غايات الإرهاب التي تصبو إلى تحقيق الأمن والسّلام والطمأنينة في إقامة علاقات طيّبة بين فرد وآخر، أو بين مجتمع وآخر أقرب إلى التفاهم منه إلى الصّراعات والنزاعات.

وعليه: فالتوافق غاية إنسانيّة لا تكون سائدة بين النَّاس إلّا بتقدير قيمة الإنسان الذي من حقّه أن يقبل ويرفض، ويأمر وينهى، ويتكلّم ويعبّر، ويقرّر ويَقدِم على تنفيذ ما يقرّه دون أن يكون على حساب حقوق الآخرين ومجالات امتدادهم؛ ولذا فمن حقّه الانتقاد كما من حقّه التقييم والمحاسبة والتقويم والتصحيح والإصلاح والبناء والإعمار، ولا يجوز لأحدٍ أن يقصيه أو يحرمه من أيّ حقٍّ من حقوقه، ومن يحاول ذلك ينبغي أن يزاح من الطّريق الذي لا يعبّد إلّا من أجل مستقبل الجميع دون فرقة ولا فوارق.

والتوافق لا يكون بين النَّاس نُقلة إلّا عن إرادة، ومتى ما بلغ النَّاس التوافق نُقلة بلغوا الحلّ الذي يجد الإنسان نفسه به مقدّرًا ومعتبرًا، فقمّة السُّلطان على سبيل المثال: عندما يكون صوته صوت النَّاس يكون هذا الصّوت دليل التوافق التَّام بين الشّعب وقمّة السُّلطان نُقلة، وعندما تختلف الأصوات بين الشّعب وقمّة سلّم السُّلطان لن يعلو صوت على صوت الرّفض الذي ينقل أصحابه من التسليم بغير حقّ إلى العمل المحقّ له نُقلة ورفعة[64].

النُّقلةُ بين تكيّفٍ وتوافقٍ:

مع أنَّ النّقلة ليسن قيمة بينيّة ثابتة فإنَّ التغيير قمّة ورفعة لا يتوَّج إلَّا بها؛ ولذا فالنُّقلة ليست قفزة في الهوى، بل هي امتداد الحركة الواعية في الاتجاه الصَّواب، وعن معرفة تامّة بأهميّة المترتّب على الجهد المبذول تجاه المأمول حتى بلوغه ونيله، فذلك التكيّف بعلل الحاجة والضرورة أصبح في خبر كان بعد بلوغ التوافق عن رغبة وإرادة.

ومن هنا فالتوافق نُقلة قيمة حميدة تستوجب جهدًا كبيرًا بغاية بلوغه رغبة وإرادة، ودائمًا حيث ما كان التوافق بين النَّاس قيمة مقدّرة ومفخّمة، كان الانسجام والتفهُّم بينهم سائدًا، ومع أنَّ التوافق قيمة مأمولة، فإنَّه من حيث المفهوم لم يكن الاتفاق؛ فالاتفاق مع أنَّه إرادي، فإنَّه يمكن أن يكون بين الأعداء كالاتفاق على وقف إطلاق النَّار في حالة ما إذا كان بينهم

[64] عقيل حسين عقيل، الرفض استشعار حرية، ص 84 ـ 92.

اقتتال، وهذا لا يعني أنَّهم متوافقون؛ فالتوافق لا يكون إلّا على رؤية وقضايا ومواقف جمعيّة، ممّا يجعل البعض يتوافق مع القيم ولا يتّفق مع أصحابها.

ومع أنَّ التّوافق قيمة اجتماعيَّة وإنسانيَّة وبلوغه قمّة ممكن، فإنَّه ليس بسهل المنال؛ ولذا فمن بلغه تجنّب المظالم، وآمن الآخرين، واطمأنَّ معهم، ومن لم يبلغه فلا هذه ولا تلك، ولذا فالتّوافق لا يكون إلّا بتقارب المطلب مع الرّغبة، وتقارب الحاجة المتطوّرة مع مشبعاتها المتنوّعة وظروفها الموضوعيّة، وهو المحقّق للرّضا دون تقديم تنازلات بغير حقّ.

ومن ثمّ عندما تُفخّم قيمة التّوافق تحقّق الانسجام الإرادي بين النّاس نُقلة، ويصبح الانسجام سائدًا بين الأنا والآخر، وتصبح المشاركة بينهم موجبة.

ولأنَّ التّوافق مع الإيجابيَّات توافق مرضٍ، فإنَّ أصحاب الإيجابيَّات نُقلة لا يُقرُّون شيئًا من بعده ندمًا، ومع أنَّ التّوافق واحدٌ إلّا أنَّ للتوافق أنواع موضوعيَّة كتوافق الزّمن مع الزّمن، وتوافق المكان مع المكان، وتوافق الظرف مع الظرف، وتوافق الودِّ مع الودِّ، وتوافق الظلم مع الظلم، وهكذا فإنَّ التّوافق لا يتعدّد ومواضعه ومعطياته تتعدّد، حتَّى في القصاص لا حلَّ للمشكل ولا حكم فيه عدلاً إلّا بالتّوافق.

ومن هنا فإنْ أردنا استمرار النُّقلة من التكيّف إلى التوافق وعيًا وإرادة فعلينا بتقوية العلاقات التوافقيّة بين أبناء الوطن الواحد الذي ينبغي أن تكون علاقاته تراتبية بين الكبير والصّغير، وبين صاحب الفكرة وصاحب الخبرة، وصاحب المهارة، وصاحب الحُجّة، حتى يأخذ أصحاب الكفاءات

العالية مكاناتهم، وفي المقابل لا توافق مع أنظمة لا تقدّر قيمة الإنسان وبخاصّة تلك الأنظمة التي تأسّس الحكم فيها على العصبيّة، أو أنْ تحكمها عصابة، مما يجعل قوّة الشوكة سائدة على حساب قوّة الكفاءة والمقدرة.

ومن ثمَّ عندما تُنظم العلاقات الاجتماعيّة وفقًا لرؤية قوّة الشّوكة؛ فلا يمكن أن تُبنى مؤسّسات وطنيَّة، وفي المقابل عندما تنظّم العلاقات الاجتماعيّة وفقًا لرؤية مؤسّسات الدّولة؛ فلن يكون هناك ولاء إلّا للوطن نُقلة، ومن ثمّ فدولة التوافق هي دولة النُّقلة الممكّنة من المزيد المعرفي، والممكّنة من بلوغ الغايات الوطنيّة المتطوّرة، ومن هنا فعندما تُفخّم وتعظّم القيم الحميدة بين النّاس والشّعوب فبالضرورة سَيُفخّم ويُعظّم أصحابها في أوطانهم، وعندما تقوّض القيم الحميدة فلا بدّ أنْ يجد المواطنون أنفسهم في أوطانهم مقوّضين وكأنَّهم الغرباء ولا توافق.

ولأنَّ التكيّف لا يكون تكيّفًا إلّا بتقديم شيء من التنازلات كثرت أم قلت، فإنَّ تقديمها يجعل مِمَنْ قَدّمها قليل شأن، ومَن قُدّمت له ارفع درجة منه، ومن ثمَّ يكون راضيًا وقد يكون مطمئنًا، ولكن كما يقولون: دائمًا الجمر الذي تحت الرّماد مع أوّل هبّة ريح يشتعل في الغابة، ومن هنا فالأنظمة التي رَكِب أصحابها المصاعد إلى أسطح العمارات، ولم يضعوا في حسبانهم أنَّه لا نزول إلَّا من خلالها فهم صَعدوها بلا سلالم، وبقوا هناك بلا نُقلة إلى أنْ أُسقط بهم أرضًا، كما هو حال القمم السُّلطانيَّة في تونس، ومصر، وليبيا، واليمن.

ومع أنَّ جميعهم قد أسقطوا، إلَّا أنَّ لكلٍّ منهم خصوصيّة؛ فقد أسقط بقمّة السُّلطان ونظامه في تونس، ولم تسقط العمارة (الدّولة)؛ بقيت مؤسّسات الدّولة التونسيّة مع بقاء الجيش والشّرطة الوطنيين.

وأسقط بقمّة السَّلطان ونظامه في مصر، ولم تسقط العمارة (الدّولة)؛ فبقيت المؤسّسات المصريَّة عاملة بسلام.

أمَّا في ليبيا فقد أسقط بقمّة سُلطانها، كما أسقط بنظامه، وكذلك أسقطت العمارة (الدّولة)؛ حيث لا مؤسّسات راسخة، ولا جيش وطني، ولا شرطة وطنيّة.

أمّا اليمن فكان الإسقاط فيها مشروطًا بشروط توافقيّة؛ حيث تمّ إسقاط على عبد الله صالح من علو العمارة؛ فَكُسِر، ومن ثمّ بُدئ العمل على تسيير ذلك النظام المهترئ، وتلك العمارة المدعّمة بالأعمدة والروافع كي لا تسقط على رؤوس من تبقّى.

وهنا أقول:

إنّ الثورة الشّعبيّة في اليمن توقّفت عند حدود الإصلاح، ولأنّها توقّفت قبل بلوغ الحلّ؛ فأمرها لم يحسم بعد، ممّا يجعل اليمن في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع بين مفترق طرق، ويا ليت أمرها يحسم لصاح الشّعب اليمني العظيم.

وعليه فإنَّ القمم السلطانيَّة في هذه الدّول التي أطلق عليها (دول الرّبيع العربي) قد لعبت برؤوسها، ولم تلعب بأذيالها، ومن هنا كان الفأر أكثر من قممها فطنة وذكاء؛ فالفأر ذات مرّة سُئل:

لماذا أيَّها الفأر عندما تشعر بخطر تبدأ اللعب بذيلك؟

قال:

ألا يكون من الأفضل لي أنْ العب بذيلي بدلًا من أنْ العب برأسي؛ فأنا عندما العب بذيلي أفكر، ولكن عندما ألعب برأسي يُلعب بي.

وعليه: فمن أجل أن لا يتكرر اللعب بالرّؤوس، فينبغي أن تُحدث النُّقلة التي بها تقوم دولة التوافق أو تتأسّس، وهي الدَّولة التي لا يكون فيها أحد مقصّ ولا محروم، ولا مغيّب عن ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسؤوليَّاته الوطنيَّة، وهي الدّولة التي تبلغها الشُّعوب بعد نُقلة تعبر بها التوقّف عند حدود الإصلاح الذي كان مقبولًا لحدٍّ ما من أجل فكّ التأزُّمات، إلى بلوغ الحلّ السياسي والاقتصادي والأخلاقي، وهي الدّولة التي لا قيود فيها على الإرادة؛ لأنَّ الشّعب وحده قادر على أن يختار قمّة لإدارة سُلطانه، وفقًا لدستور مُقّرّ ومعتمد من قِبله، ومن هنا تُعدّ دولة التوافق هي دولة تحقيق النُقلة إلى كلّ ما من شأنه أن يحقّق التقدّم.

مِن التكيّف إلى التوافق (إصلاح وحلّ):

مع أنَّ لِسَالب التكيف استقراريَّة وفقًا لقاعدة قبول الأمر الواقع فإنَّ له أيضًا الاستقراريَّة الايجابيَّة عندما يصبح التكيُّف مع كل ما من شأنّه أن يحدث النَّهضة ويؤدّي إلى التوافق نُقلة؛ ولذا فالعلاقة قويّة بين التكيُّف والإصلاح كون الاثنان مؤسّسين على تقديم التنازلات، ومن هنا فلا علاقة لهما مع التّوافق نُقلة الذي لا يكون إلّا عن تداعٍ إرادي، ومن ثمَّ فالمطالبة

بالإصلاح يترتّب عليها القبول بالتكيّف، أمَّا المطالبة بالحلّ فيترتّب عليها تحقيق التّوافق نُقلة.

إذن: العلاقة بين الإصلاح والتكيّف علاقة تقديم تنازلات وقبول الأمر الواقع، ممّا يجعل العلاقات تؤسّس على خللٍ في الاتزان، أمَّا العلاقة بين الحلّ والتّوافق نُقلة فهي علاقة تحقيق التّوازن والاتزان المحقّقان للانسجام ونيل الرّضا، حتَّى التتويج بالسّكينة والطمأنينة نُقلة تأتي من بعدها نُقلة.

ولأنَّ التوافق نتاج بلوغ النُّقلة سيادة وإرادة فهو الممكّن من تجاوز مرحلة الإصلاح الذي لم يعد أملا كما كان لدى البعض، أي: لم يعدّ هو القاعدة كما كان مأمولًا، بل أصبح هو الاستثناء وفقًا للضرورة؛ ومن ثمَّ أصبحت القاعدة هي بلوغ الحلّ وليس الإصلاح.

ولأنَّ لكلِّ قاعدة استثناء فإنَّ لكلّ حلٍّ ظهيرًا يسنده عند كلِّ ضرورة وهو الإصلاح، أي: إنَّ الإصلاح هو المعين للحلّ، ولأنَّه المعين فهو لم يكن الأساس، بل هو المتوقّع لما هو متوقّع من فساد وهلاك بأسباب الاستخدام، أمَّا الحلّ نُقلة فهو المنتج الجديد المتطوّر المضاف لما سبق، الذي كلّما فسد وأمكن إصلاحه وجب الإصلاح المساند للحلِّ، ولهذا فالشعوب تتكيّف مع الإصلاحات، ولكنّها لا تتوافق نُقلة إلّا مع الحلِّ.

وعليه:

فهناك علاقة قيميَّة تربط التّوافق بالحلِّ، كما تربط التكيّف بالإصلاح؛ فعلى سبيل المثال: الإنسان عندما تفسد سيارته يلتجئ أوَّل ما يلتجئ إلى إمكانيَّة إصلاحها، وإن قَبِل بذلك قَبِل بتقديم شيءٍ من

التنازلات؛ فهي لن تعود كما كانت وإن أُصلحت، وهكذا الحال في السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة؛ فما يفسد منها ويصلح لن يرتقي إلى ذلك المستوى الذي يحقّق التّوافق دون تردّد، ممّا يجعل التحفّظات تظهر بين الحين والحين، ولو كانت في أعماق الأنفس، ومع ذلك في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع؛ فإنَّ لكلّ قاعدة استثناء.

فالتّوافق كونه قيمة حميدة فهو قيمة مُرضية يُقرّ الرّفض لكلّ شيء غير مرضٍ، ولهذا في دولة التوافق لا يرفض المواطن شيئًا إلّا من أجل أن يسود توافق ونُقلة، ومن هنا فالرّفض للظُّلم خير يجعل النَّاس على الحقّ حبًّا وعدلًا، وبهما الناس يتوافقون؛ إذ لا مظالم، ولا مكائد، ولا إقصاء، ولا تغييب، ولا تعذيب، ولا تسفيه الكلّ في حالة نُقلة ورفعة؛ ولذلك فالرّفض المؤدّي إلى التّوافق أمر واجب الأخذ به، والسعي إلى تحقيقه بموجبات تجعله من الثوابت المنطقيَّة، وهكذا أيّ أمر عندما يكون مطلبًا لا بدّ له من غايات ينتهي إليها، فالمنتهيات الغائيّة التي سيؤول أمر المطالب إليها هي تحقيق التّوافق الممكّن من بلوغ الانسجام نُقلة.

ولأنَّ سيادة التّوافق بين النَّاس قمّة ونُقلة ذات قيمة نفسيّة، واجتماعيّة، وإنسانيّة، وأخلاقيّة، وذوقيّة فهي سيادة للإرادة التي لا تبلغ إلَّا ببلوغ الحلّ مودّة ومحبَّة.

ومن هنا فالتّوافق مع الشيء أو مع الآخر ليس تكيّفًا مرحليًّا وفقًا لظرفٍ وبيئةٍ بقياس الزّمان والمكان، بل هو نُقلة بها تتحسّن الأحوال وترتقي رفعة وقمّة؛ ذلك لأنَّ التّوافق لا يكون إلّا مع العقلاء أصحاب الإرادة

الحرّة، أمّا التكيّف فيكون مع العقلاء ومع غيرهم، كالتكيّف مع المكان والتكيّف مع الأشياء التي لا إمكانيَّة للتوافق معها، وعلى الرّغم من اشتراك المفهومين بمعطيات كثيرة، فإنَّ التكيّف غالبًا ما يكون اهتمام أصحابه ركونًا مادّيًّا حسيًّا، وفي المقابل ينصبّ التّوافق على الجانب الرّوحي والعقلي والمعرفي والمعنوي؛ وذلك من حيث الأفكار والمعتقدات والآراء والطّموحات والآمال، أي: إنَّه ذو الجانب الفكري الذي عماده العقل، بينما يكون التكيّف مؤقّتًا، كأن يتكيّف الإنسان مع الغُربة، أو مع السّجن، أو يتكيّف مع جلسة معيّنة تُفرض عليه بوضع معيّن لمدّة محدّدة، فهو في مثل هذه الظّروف مضطر للتكيّف في فترة زمنية معيّنة لظرف خاصّ، ولهذا تنتفي الرّغبة فيه على الرّغم من القبول بالأمر الواقع، وفي المقابل لا يكون التوافق محقّق للنُّقلة إلّا عن رغبة وإرادة.

ولأنَّه التوافق نُقلة فدولته لا تقوم إلَّا على وجود الحلّ للتأزُّمات والمختنقات والصّعاب التي تواجه النَّاس في المآكل والمشرب والمأمن والتعلّم والنهضة بشكل عامٍ. إنَّها دولة الحلّ حيث لا يوجد لمن يقدِّم التنازلات التي هي معطية من معطيات زمن التكيّف؛ فالتكيّف لم يعد غاية طالما هو قائم على تقديم التنازلات بالإكراه، بل الغاية المأمولة هي التي تؤدّي إلى التقبُّل، والرِّضا عن إرادة، من خلال عملية توازن تفضي إلى المحافظة على الوطن، ورأس ماله الاجتماعي، والأخلاقي، والاقتصادي، والثقافي، والذوقي، ومن ثمّ تحدث له النُّقلة وبه تتطلّع إلى المقامات العظام شريعةً، ومعرفةً، وعلمًا، وحضارةً.

وعليه:

فإنَّ التصرّفات القامعة للإرادة قد تؤدّي إلى اتفاق بين قوي وضعيف، يفضي إلى التكيّف تحت وطأة الضرورة، ممّا يجعل أسباب التكيّف تؤول إلى الزوال طال الوقت أم قصر، ومن هنا فالتكيّف يختلف مفهومًا ودلالة عن التّوافق المرتبط بممارسة الحرّية من خلال نُقلة متجدّدة مع متغيرات الحياة حتَّى النّهاية.

ومن ثمّ يصبح التّوافق من الغايات المأمولة، ومن بلغه بلغ الحلّ، ومن لم يبلغه فعليه بالمثابرة والقبول بدفع الثّمن الذي يمّكنه من بلوغه، إنَّه القيمة الحميدة التي لا تسود بالإنسان إلا نقلة مقدّرة، ممّا يجعل المواطن قمّة يأمر وينهى، ويقرّر ويَقدِم على تنفيذ ما يقرّره دون أن تكون قراراته على حساب حقوق الآخرين ومجالات امتدادهم، كما يصبحُ من حقّه الانتقاد، والتقييم، والمحاسبة، والتقويم، والتصحيح، والإصلاح، والبناء، والإعمار، ولا يجوز لأحدٍ أن يقصيه، أو يحرمه من شيء له الحقّ فيه، ومن يحاول ذلك في زمن بلوغ الحلّ، يُزاح من الطريق الذي عُبِّد من أجل مستقبل الجميع نُقلة دون فرقة ولا فوارق.

ولأنّ التّوافق لا يكون بين النَّاس نُقلة إلّا عن إرادة؛ فمتى ما بلغ النَّاس التوافق بلغوا الحلّ الذي به يجد الإنسان نفسه مقدّرًا ومعتبرًا؛ ولذا فقمّة السُّلطان عندما يكون صوته صوت النَّاس، يكون هذا الصّوت دليل التّوافق التَّام بين الشّعب وقمّة السُّلطان، وعندما تختلف الأصوات بين الشّعب وقمّة سلّم السُّلطان؛ فلن يعلو صوت على صوت الرّفض والمواجهة والثورة، التي بها يُنقل النَّاس من التسليم بغير حقّ، إلى العمل المحقّ للحقِّ.

ولأنَّ التّوافق قيمة حميدة ومرضية لجميع المتوافقين؛ فهو المأمول الذي يعيد التوازن والانسجام بين الأفراد والجماعات والشّعوب، وكلّما توافق النَّاس في أوطانهم كانت وحدتهم الوطنية قوّة بها يتمكّنون من فرض إرادتهم وسيادتهم، أمَّا في الأوطان التي يتولّى أمرها محتكرو السّلطة فأوّل ما يستهدفونه هو العمل على كلِّ ما من شأنه أن يجعل الشّعب على غير توافق، مقسّمين بين طوائف، وقبائل، وجماعات، وأحزاب، وحتّى بلطّجيّة، وبهذه الفتنة يرى النظام أن سياساته هذه هي المحققة لبقائه واستمراره وامنه.

فقيام دولة التّوافق دليل إثبات عدم وجود خلاف بين النّاس (شعب أو أمّة) حيث لا سيادة للمظالم، ولا سيادة للتنافر، ولا سيادة للتّصادم، بل السيادة التَّامّة للتوازن بين المطالب والرّغبات، وبين الجهد المبذول والحاصل المنتج، وبين ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليّات، وبين الحق والعدالة، ومن ثمَّ يكون الانسجام ديمومة رضا بقوّة النُّقلة.

وعليه: في الوقت الذي توجد فيه علاقة نُقلة قويّة بين (التّوافق والانسجام والحلّ)، توجد فيه علاقة تخلّف ووهن بين (التكيّف والتلاؤم والإصلاح)؛ ذلك لأنَّ التكيّف يؤدّي إلى التلاؤم على الكفّة السَّالبة، وفي المقابل يؤدّي التّوافق إلى الانسجام على الكفّة الموجبة؛ فتتمّ عملية التكيّف بما يتمّ تقديمه من تنازلات عن القضيّة أو عن شيء منها، ممّا يجعل المتكيّف في حالة تلاؤم لا تمكّنه من شيء سوى القبول بالإصلاح، أمَّا التّوافق فلا تنازل إلّا بمنطق، ولا أخذ إلّا به، ممّا يجعل المتوافق في حالة انسجام بها يتمكّن من بلوغ الحلّ.

إذن: الفرق كبير بين حالتي التلاؤم والانسجام، فالتلاؤم حاله كحال التكيّف لا يتمّ إلّا بتنازلات، أمّا الانسجام فحاله من حال التّوافق نُقلة لا يتمّ إلّا عن تراضٍ بالقول، أو الفكرة، أو المهارة، أو الفعل، أو العمل، أو السلوك، أو معها جميعًا.

العدالةُ نُقلة التوافق:

جاءت العدالة نُقلة أمر من السّماء بغاية استخلاف الإنسان في الأرض بلا مظالم ولا إكراه؛ ولذا فالتوافق نُقلة لا يسود بين النَّاس إلّا عن إرادة وعدلٍ، ومن هنا فحيث ما كان التوافق بين النَّاس نُقلة كان العدل والانسجام والتفهُّم بينهم سائدًا بدون تقديم تنازلات غير مرضية.

وعليه: فالتّوافق انسجام إرادي، به تتوافق الأقوال والأفعال مع الموضوع بين الأنا والآخر، ويحقّق انسجامًا وتقاربًا بين أراء وأفكار ووجهات نظر المشاركين في الموضوع الواحد ممّا يجعل المشاركة بين الأطراف موجبة لتساوي كفتي العدالة نُقلة.

ولكن متى سيكون التّوافق نُقلة بين النَّاس؟

أقول:

. بعد أن يكونوا النَّاس طائعين للحقّ ومتبعين سُبله وأساليبه.

. بعد أن يكونوا طائعين لأولي الأمر منهم طاعة للأمر الذي هو الآخر نُقلة لا يكون إلَّا منهم.

. بعد أن تسود الفضائل الحميدة والقيم الخيّرة بينهم نُقلة.

. بعد أنْ يعترف كلٌّ منهم بالآخر.

. بعد أن تقدّر الخصوصيّة ولا يمتدّ أحد على حساب هويّة الغير.

. بعد أن تُمنح الفرصة للتفهّم والتفاهم إرادة.

. بعد أن ينتهوا عمَّا نهاهم الله عنه.

. بعد أن يأخذوا بما أمرهم الله به.

. بعد أن ينتهوا عن الكيد وعن إيقاد نيران الفتنة بين النَّاس.

. بعد أن يكفروا بالباطل ولا يعتدون ويظلمون.

. بعد أن تصبح الحقوق بينهم تمارس، والواجبات تؤدّى، والمسئوليَّات تُحمل.

. بعد أن ينتهوا عن أعمال الإفساد في الأرض وسفك الدِّماء فيها بغير حقّ.

. بعد أن تسود بينهم فضائل وقيم التّسامح.

. بعد أن تسود بينهم فضائل وقيم التآخي.

. بعد أن تسود بينهم فضائل وقيم التّعاون.

. بعد أن تسود قيمة الاعتبار للأفراد والجماعات والشّعوب والأمم.

. عندما لا يتمسّكوا بوجوبية تماثل القيم مع الواقع وكأنَّ القيم تمتلك مطلقية الثّبات؛ ذلك لأنَّ الواقع أحيانًا يتقدَّم على القيم ممّا يستوجب العمل على تقييم القيم وتقويمها لكي تواكب حركة التغيّر والتقدّم إلى

الأفضل والأجود والأنفع، وفي المقابل الآخر فإنَّ الواقع قد يتخلّف كثيرًا عن معطيات القيم، ممّا يستوجب عدم الركّون إلى الواقع المتخلّف.

ولأنَّ التوافق نُقلة هو أمل المصلحين في الأرض فلا يكون إلّا على ما هو مُصلح وهو مكمن الحلّ الذي يخرج من التأزُّمات، ولكن متى يبلغ النَّاس هذه النُّقلة؟

أقول:

إذا تطابقت النوايا مع الأعمال والأفعال وانتهت الخلافات بسيادة العدل بين النَّاس وتوافقوا على إحقاق الحق وزهق الباطل، وفي المقابل إنْ سادت المظالم بينهم وعمّت تماثلوا في ارتكاب المفاسد، ولهذا قد يتماثل النَّاس في ارتكاب المظالم كما يتوافقون في القيام بأعمال الإصلاح والإعمار والفلاح والبناء نُقلة.

ولأنَّ أسباب الخلاف من ارتكاب المظالم، إذن: لا يمكن أن ينتهي أو يزول الخلاف ما لم تنتهِ وتزل المظالم؛ لذلك فالتوافق لا يكون إلّا بين العقلاء، وهذا ما يخالف التكيّف الذي ينسحب على العقلاء وغيرهم كالمكان والأشياء التي نتكيّف معها ولا نتوافق على الرّغم من اشتراك المفهومين بمعطيات كثيرة.

ولذا فالتوافق نُقلة يقوم على الفكرة سواء أكانت مؤدّية إلى الرّفض أم القبول، انطلاقًا من مبدأ يحمل وسيلةً وهدفًا وغايةً بحيث تجعل التوافق ناتجًا عن رغبة، وهذه الرّغبة تدفع إلى بناء جسور تلاقٍ وإقامة علاقات

قويّة مع الآخرين والتوافق معهم؛ بحيث تقوم على قناعة العقل مع منطقه وإقناعه بالحُجَّة والدّليل والبرهان.

ومن هنا فإنَّ القوّة التي تتخطّى غاية الرّفض من التوافق إلى التكيّف، تخرج عن صفة الرّفض إلى الإخافة التي تفرض قبول الآخر هو كما هو، ومن ثمَّ يجد الآخر نفسه في محل قبول الواقع والتكيّف معه بتقديم تنازلات تستوجبها الضرورة.

وعليه: لن يكون التكيّف هو الغاية طالما يظل قائم على تقديم التنازلات بعلل الضرورة أو الإكراه، بل الغاية نُقلةٌ هي التي تؤدّي إلى القبول والرِّضا في عملية توازن تفضي إلى المحافظة على المال والنّفس والكرامة.

ومن هنا يظل التوافق نُقلةٌ هو الغاية الإنسانيَّة؛ وذلك بتقدير قيمة الإنسان الذي من حقّه أن يقبل ويرفض، ويأمر وينهى، ويتكلّم ويعبّر، ويقرّر ويقدم على تنفيذ ما يقرّه دون أن يكون على حساب حقوق الآخرين ومجالات امتدادهم، فمن حقّه الانتقاد كما من حقّه التقييم والمحاسبة والتقويم والتصحيح والإصلاح والبناء والإعمار، ولا يجوز لأحدٍ أن يقصيه أو يحرمه من ذلك، ومن يحاول ذلك ينبغي أن يزاح من الطريق الذي لا يعبّد إلّا من أجل مستقبل الجميع نُقلة دون فرقة ولا فوارق وبكلّ معطيات العدل وأفعاله الإنسانيَّة.

ولأنَّ التوافق قيمة حميدة ومرضية لجميع المتوافقين؛ فهو المأمول الذي يعيد التوازن والانسجام بين الأفراد والجماعات والشعوب، وكلّما توافق النَّاس عدالة في وطنهم كوّنوا الوحدة الوطنية المأمولة، التي بها يتمكّنون من

فرض إرادتهم، ولكن في الأوطان التي يتولّى أمرها الظّلمة أوّل ما يستهدفونه هو تفتيت الوحدة الوطنية وتقسيم الشّعب إلى طوائف وقبائل وأحزاب متصادمة حتَّى لا تلتقي على رأي واحد فتطيح بالدكتاتور وتسقط نظامه[65].

ولذا فمن أراد بلوغ النُّقلة توافقًا مع نفسه، ومستقبلة، وسيادة وطنه؛ فعليه أن يفكّر فيما يفكّر فيه دون أن يغفل عن مواجع التكيف كرهًا وسُفليَّة ودونيَّة، ودون أن يغفل عن عبر التَّاريخ التي لا اتعاظ بدون الالتفات إليها، بغاية إحداث النُّقلة التي في حاجة للعودة إلى الذاكرة؛ ذلك لأنَّ الذاكرة، هي: مكمن الأسرار، والقابلة لأن تنشّط وعيًا وانتباهًا، والقابلة لأن تمرّن بمزيد من المستفزّات العقليَّة والعلميَّة، وعليه:

. الذّاكرة تنشّط تذكّرا.

. الذّاكرة قابلة لأن تنشّط تدبّرا.

. الذّاكرة قابلة لأن تنشّط تفكّرا.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالتَّاريخ.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالفضائل الخيّرة.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالقيم.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالمبادئ الإنسانيَّة والأخلاقيَّة.

---

[65] عقيل حسين عقيل، تقويض القيم، شركة الملتقى، بيروت، 2011م، ص 107 – 116.

- الذّاكرة تمكّن الأفراد من التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

- الذّاكرة تنبّه بالمخيف والمقلق والمستفزّ.

- الذّاكرة لا شيء يضيع، ولكن قد يصعب الاستدعاء.

فالذّاكرة محفظة المعارف والخبرات والتجارب الماضية التي يمكن الاتعاظ بها في زمن التدبّر نُقلة، والوقوف عند هذه التجارب باختلافها يُعدّ وقوفًا على إرث إنساني يمثل حقبة من حقب الماضي؛ فالتاريخ بتفريعاته وارتماءاته وتنوّعه يمثّل مجموعة من التجارب الإنسانيَّة سواء أكانت على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، وهنا يكون النّظر الحاصل منطويًا على الفكرة المطلوبة، فتُصبح بعد ذلك مطلبًا من المطالب التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ فيكون هذا الطلب فيما بعد حاجة ملحّةً تكون حاضرة بشكلٍ أو بآخر في كثير من التفصيلات التي يكون حضورها ملبّيًا للبداية الافتراضيَّة التي كانت السبب في هذا الحضور.

إنَّ استدعاء الذَّاكرة للماضي فيه من الترابط ما يجعل التجارب الإنسانيَّة تسير وفق نسق واحد على الرّغم من العقبات التي يمكن أن تحدث؛ فالتفاعل من خلال كلّ المديات الحاصلة يمثل هذا الترابط، ممّا يجعل البحث الدّائم متحقِّقًا في كلّ زوايا الماضي؛ ذلك أنَّ الماضي فيه من التحقّق ما يمنح الحياة الآنيَّة والمستقبليَّة حلولا مهمة، إلَّا أنَّنا لا نعتقد بالتكرار المتطابق في الحياة؛ كون الظروف مختلفة أو غير متماثلة؛ فيكون الاختزال في بعض القضايا متحققًا بدرجة بعيدة ممّا يسمح بظهور مديات واضحة يُطرح من خلالها هذا التفاوت؛ فتكون الصّورة المطلوبة في كثير

من الأحيان غير مكتملة الأركان ضمن التشكيل المطلوب، وهذا يكون في حالة طلب الماضي ودمجه مع توجّهات الحاضر من أجل الوصول إلى إعادة تفعيل متشابهة تُمكّن الذاكرة وعيًا ويقظةً ونُقلة.

ومع أنَّ في الذاكرة يدخل الماضي حقل التراث، فإنَّه لم يكن من باب الجمود كأيِّ أيقونة ممكن أن تكون، ولكن من باب التبصّر والتمعّن والإيضاح الموقظ لما يجب أن يكون في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع نُقلة، فالإنسان يمر بظروف تكاد تتشابه كثيرًا على مر العصور؛ فينتج من ذلك نهايات تكون مختلفة ممّا يطرح في الذَّاكرة وجود آراء مختلفة؛ تجرّ إلى منعطفات لم تكن في كثير من الأحيان بالحسبان، ولعلّ تحقّق الأحداث العظام في الماضي يمثّل أحد هذه الاختلافات؛ فالإنسان يختلف تصرّفه كثيرًا حتى في القضيَّة الواحدة؛ إذ تحكمه كثيرٌ من الظروف التي تتنوّع فلا تقف عن حدٍّ معين؛ فيكون الارتماء ممثّلًا بتداعيات مختلفة تطرح من خلالها الحدود المفترضة التي تكون النّهاية عند أعتابها؛ فتنساق الأمور في الذَّاكرة إلى امتدادات وإن كانت في بعض الأحيان واهية فإنَّها ممثّلة لاتجاهات فكريَّة كانت وراءها؛ ولهذا لا يمكن أن تكون هناك قطعيّة في الحلول؛ فالذّاكرة تحمِلُ كثيرًا من الحلول المختلفة ممّا يحيل إلى انتفاء القطعيَّة التي يمكن أن تطرح على أيِّ صعيدٍ، فلم يكن هناك حلٌّ واحدٌ لكثير من القضايا وإن تشابهت هذه القضايا إلى درجة التطابق.

وفي الذّاكرة يكتنف الماضي كثيرًا من التشكيلات التي يمكن الوصول إليها بقراءة واعية بما يسبغ عليها من طروحات؛ ولهذا نجد يوما بعد يوم ظهور تأويلات مختلفة للماضي وقد تكون متناقضة، لكن هذا يدلل على

وجود حيّز كبير في الامتداد الفكري الذي يجوب أروقة الماضي ويقف عند محطاته الشّاخصة التي تكون فيما بعد دروسًا يستفيد منها من يبحث عن حلّ لما يمرّ به الإنسان نُقلة؛ ولهذا وجب العمل على تفطين الذّاكرة من خلال تمرينها تدبّرًا، وتنشيطها تذكّرًا وتفكّرًا.

ومع أنَّ للذَّاكرة علاقة بالتّاريخ من حيث إنَّها محفظة أحداثه وقضاياه، ولكن التّاريخ دائمًا يطرح مغايرات مهمّة تكون عند أعتابها نهايات قد تتكرّر، وهذا يُسيّر عجلة الزَّمن نحو إيجاد تعالقات متشابهة تكون أكثرها منتمية لبداية سعت دائمًا إلى حلحلت ما يمكن حلحلته في سبيل الوقوف على حدود واضحة المعالم، وهنا يكون السير في هذا الرّواق منكفيًا على تجارب حاضرة وملبّية في الوقت نفسه للتساؤلات التي يمكن أن تُطرح، فتكون التبعات متحقّقة نقلة؛ كونها تمثّل امتدادا مطلوبا، والتاريخ فيه من السّعة ما يجعل كثيرًا من المقولات شاخصة في كلّ زمان ومكان، فمقولة: (التاريخ يعيد نفسه) تتكرّر على كثير من الألسنة لكنّها كما نعتقد لا تمثّل تشكيلا عامًّا في هذا النسق الإنساني؛ ولذا وجب تفطين الذاكرة؛ لكي لا يضيع التاريخ ولا يزوّر، ومع أنّ الذَّاكرة حاوية التاريخ وحافظته، لكنّها لم تكن جزءًا منه؛ ولهذا أحداث التاريخ تتكرر والذَّاكرة لا تتكرر، فالتكرار قد يحصل لكنَّه هل يحصل كما حصل في الماضي؟

هذا التساؤل يفضي بنا إلى أن نقول:

إنَّ التَّاريخ يمكن أن يعيد نفسه نُقلة، لكن هذه الإعادة لا تكون بالتطابق التّام؛ لأنَّ هذا الأمر يكون من الصّعوبة بمكان أن يتحقّق، ومع ذلك فالتّجارب الإنسانيَّة متشابهة ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلول؛ علّها تكون ناجعة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النّظرة إلى الماضي من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يسهم بشكلٍ أو بآخر في الوصول إلى الحلّ نقلة، حتى وإن كان افتراضيًّا؛ لأنَّ كثيرًا من المشاكل تحتاج إلى اتكاءات جديدة تكون قادرة على حلّها، فيحدث الانزياح المراد ضمن توليفة يُجمع فيها في بعض الأحيان حتى النقائض التي لا يتوقّع لها أن تجتمع في يوم من الأيام.

وأي تشكيلٍ نذهب إليه يكون الخوف فيه حاضرًا في الذّاكرة؛ كونه يمثّل الانطلاقة الأولى التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوة، فالبحث عن حلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّزه ويرشده بطريقة أو بأخرى إلى البحث عن حلّ يكون من بعده سقوط أو تبدّد كلّ المخاوف القائمة؛ ولذا يكون الاستشعار في هذا التوجّه قائمًا على درجة عالية من الحذر؛ كي تكون النّهاية ملبّية للخوف الأوّل الذي كان محفّزًا بدرجة جعلت من آليات البحث عن حلّ خاضعة لهذا الخوف، وما سبقه من أحداث فيها من التشابه ما فيها، وفيها من الاختلاف ما فيها، وفيها من المتوقّع وما لم يكن متوقّعا، ونتيجة لما تحمله الذّاكرة من متناقضات تاريخية؛ فهي دائمًا في حاجة لتفطين والتنشيط؛ حتى لا تُفقد العلوم والمعارف والخبرات والتجارب والعبر والمواعظ66.

---

[66] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 124 . 127.

ولأنَّها النُّقلة فلا لإمكانيَّة لأن يغفل آملوها عن التدبُّر من أجلها وهم غير غافلين عن التَّاريخ عبرًا ومواعظًا، ومتطلعين للمستقبل المأمول بغاية بلوغه ونيله رفعة وقمّة.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدكتور عقيل حسين: 93 بحثًا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (167) مؤلّفًا منها: خمس موسوعات.

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركية.

المؤلّفات

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا،

2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 ـ خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 ـ منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 ـ خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 ـ خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 ـ البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 ـ البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 ـ البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 ـ البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 ـ مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 ـ إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32 ـ شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

33 ـ يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

34 ـ داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

35 ـ يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

36 ـ أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

37 ـ موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

38 ـ عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

39 ـ محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 ـ الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 ـ تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 ـ ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 ـ موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 ـ أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 ـ وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 ـ ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 ـ العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 ـ السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 ـ الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 ـ العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 ـ فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 ـ بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 ـ من معجزات الكون (خَلق ـ نشوء ـ ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 ـ مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 ـ اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 ـ داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 ـ سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 ـ زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 ـ يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 ـ محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 ـ الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 ـ صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 ـ الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 ـ مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 ـ من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 ـ التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 ـ منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 ـ الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 ـ المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 ـ تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 ـ الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 ـ مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 ـ المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 ـ الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 ـ مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 ـ الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 ـ تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 ـ العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 ـ غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 ـ مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 ـ الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطريقة العلمية لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، 2021م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة، 2021م.

164 . أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2021م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية.

166 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، القاهرة: 2021م.

167 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، القاهرة: 1021م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 93 بحثًا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (167) مؤلّفًا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه داخل ليبيا وخارجها.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/